محمد لطفي عيسى
مجـــــاز في الحقـــوق
مـــــن
الجامعــــــة السورية في دمشــق

من خفـــــايا الصهيونيــة واسرار منظماتهـــــا

+.++ +++++ +++

دراسة في التاريخ السياسي للحصـــــول على دبلوم الاختصــاص

فـــــي

الحقوق العامـــــــة

اعدت بتوجيه الدكتور السيد عدنان العجلاني استاذ التاريخ السياسي والقضـــــاء الاداري والدبلوماسيـــــــــــــة

++++++++++++++

العلم الجامعي ١٩٥٣ــ١٩٥٤

الاهداء

× × × × ×

الى التي تسهدت عيناها وتقرح جفناها

منذ اتجه ابنها اليافع الى فلسطين

حتى اعيد من حدودها يوم هدنة تشرين

الى صديقتي ... امي

دمشق في ١٥ ايار ١٩٥٤

لطفي

اغـــــراض الدراســــة

لئن كانت رسالة (كلمة الحقوق) تهدف الى اعداد فئة من شباب الجيل ، صلبة في الدفاع عن الحق والزود عن المثل العليا التي تقع العدالة في طليعتها ، وتنشئهم على مقارعة الباطل والتنكر للظلم مهما اختلفت صورهما وتلون لبوسهما ، فحرى بي ــ وقد نهلت من منهلها ، وتأثرت بفضل اساتذتها ــ ان اختتم عهدي بها ، واستهل حياتي العملية ، بمعالجة جريمة كبرى عريقة في القـــــدم ، انحدرت جذورها من بطون التاريخ لتتمخض عن مأساة مروعة طعنت عدالة العصر في الصميم وندى لها جبينه ، واعني قضية فلسطين .

ولقد حفزني الى تتبـــــــع هـــــــــذا الموضوع الشائك اعتقـــــــادي بالحقائق التاليـــــــــة :

١ــ بقاء نواحٍ كثيرة من الاجرام اليهودي محاطة باللبس والغموض .

٢ــ تأثر بعض كتاب العربية وغير العربية (عن قصد او دون قصد) بتوجيهـــه آثم ومزاعم صهيونية مغرضة المجت السنتهم بالدعاية لها ، وحملت اقلامهم معاول هـــــدامة في الكيان العربي .

٣ــ الجهل بالمنظمات الصهيونية ، بيد ان القضاء عليها يتقاضانا ان نسبر غورها وان نلم بتشكيلاتها واساليب عملها .

واني اذ اقر بان دراسة متواضعة كهذه ، اضيق من ان تتسع لايفاء الموضوع حقه ، فحسبي انني بذلت جهد طاقتي ، والله ارجو ان يهيء لمتابعة التعمق فيه ، تعمقا علميا من يحبوه هدايته ويمده بتسديده ، والله من وراء القصد . ((ربنا عليك توكلنا واليك انبنا ، واليك المصير)) .

المؤلف

الفصل الاول

الرد على الحق التاريخي المزعوم بفلسطين ونقض وجود مملكة سليمان كما يدعيها اليهـــــود .

+ + + +

تمهيد :

يزعم الصهيونيون ان لهم في فلسطين حقا تاريخيا ، وانهم اذ يعودون اليها فانما يعودون الى موطنهم الاصلي ، ويستشهدون على ذلك بان كتابهم و[illegible] رأهم [illegible] منذ جلا اليهود عنها ، يتغنون بها ويحنون اليها ، بيد ان التحقيق التاريخي الد[illegible] يدحض هذا الزعم ، ويقيم الدليل على ان هذا الحنين لم يعد حد العاطفة الدينية التي تضطرب في قلب اى مؤمن نحو مقدساته ، وانه لايختلف في شيء من حنين المسيحي الفرنسي اوالامركي الى كنيسة القيامة في القدس او الى مهد عيسى ، عليه الســــلام في بيت لحم ، وعن حنين المسلم الهندى او التركي الى الديار الحجازية او الى المسجد الاقصى .

فلنبدأ القصة من اولها ، ولنتتبع سيرها ــ في الكتب العبرية المقدسة وفـــي المظان الصهيونية ــ لنخلص الى انه مملكة سليمان ، التي يستندون اليها في دعم حقهم الوهمي ، ليس لها وجود واقعي في التاريخ على الشكل الذى يتراءى لغلاة اليهود ــ والصهيونيين ، وان دعاواهم كلها زور وبهتان .

+ + + +

١ــ فلسطين بين عامي ٣٠٠٠ و ٢٠٠٠ قبل الميـــــــلاد :

جاء في التوراة وغيرها من الكتب المقدسة القديمة ان شعوبا عربية في القدم قطنت فلسطين في الايام الغابرة ، منها الرفائيون والايميون والحوريون والزوزيون . وان المناطق التي تقع الى الشرق من نهر الاردن كانت آهلة بقبائل اخرى كالعناقيين والحوريتيين وقد اندثرت هذه القبائل جميعا في الحروب الطاحنة التي شجرت بينها بين الادوميين والموآبيين والعموريين الذين سكنوا تلك المناطق وعاصروا ابراهيم الخليل عليه السلام .

٢ــ عهـــــد الآباء من سنة ٢٠٠٠ الى ١٥٠٠ ق . م :

وفد ابراهيم قبيل عام ١٤٠٠ ق . م من مدينة (اور) الكلدانية الى ارض كنعان وعاش عيشة بدوية خالصة ينقل خيمته من مكان الى آخر ، وعلى الاخص في المناطق المجاورة لمدينة (بيت ايل) . حتى اذا ظهر الجدب في اراضي فلسطين ، هاجر مع افراد قبيلته الى مصر ، وعاد منها بعد سبع سنوات الى (حبرون) اى الخليل . وكان لوط ابن اخيه ، الذى رافقه من (اور) قد استوطن غور الاردن الشهير بخصوبة نابته وغزارة ــ مياهه قبل ان تنقلب الارض وتتكون البحيرة المالحة ، بحيرة لوط أو البحر الميت .

ولما اصبح ابراهيم رئيسا لقبيلة كبيرة ، وهزم (ملك عيلام) ملك القبيلة ــ البربرية التي حاولت احتلال فلسطين اثناء زحفها من آسيا الصغرى ، اتخذ من مدينة (جيزار) المعروفة الآن باسم (ابي جرير) مقاما ، غير ان اضطراب العلاقة بينه وبين

.../...

ابي مالك ، ملك جيرار ، اضطرته الى استيطان المكان المعروف اليوم باسم بئر السبع ، حيث رزق ثاني اولاده وهو الذى اراد ان يقدمه قربانا الى الله تعالى في سهل (مامرا) المجاور لبئر السبع ، ولكن الله اعفاه من هذا القربان وامره ان يستعيض عنه بشاة ، فعمل . . . وانا ، الاجل فيما عن ذكرين هما اسماعيل واسحق ننقله هذا الى حبرون (الخليل) وواراه التراب .

وانجب اسحق ولدين ، فلما فقد بصره وبلغ من العمر عتيا ، ومنح بركته لابنه يعقوب (جد الاسرائيليين) متجاوزا بكره عيسو (جد الادوميين) بحث بالاول ، اشفاقا عليه ، الى قبيلة . . . لابان التي كان مستقرها في شمال اراضي الكنعانيين ، بجهات حلب ، وبينما كان يعقوب مارا بمدينة (بيت ايل) اخذه الكرى ورأى فيما يرى النائم انه سيصبح نبيا ووالدا لذرية كبيرة .

اقام يعقوب في لابان مدة سبع سنين اقترن خلالها بزوجتيه (ليئا وراحيل) ثم عاد الى . . . جنوب كنعان مارا بمدينة (بيت ايل) فجاءه فيها الحلم مرة اخرى ومنحه اسم اسرائيل .

ولما وصل الى مضارب والده وجد اخاه عيسو مستوليا على الزعامة ، فطرده منها واصبح هو رئيسا لقبيلة اليهود التي سميت باسمه " قبيلة اسرائيل .

اما عيسو فقد اقام في اراضي سيناء وعرف نسله باسم (آدوم) .

وبينما كان يعقوب يطوف المناطق الواقعة الى الشمال من قبر جده ابراهيم ماتت زوجته . . . راحيل في مكان جنوب القدس بعد ان وضعت يوسف وبنيامين ، ومات اسحق ايضا فدفنه يعقوب في كهف (المكفلة) الى جوار ابراهيم .

رزق يعقوب باثني عشر ولدا عرفوا بالاسباط ، وكان احدهم يوسف احبهم الى قلب ابيه . . . الامر الذى اثار حفيظة اخوته فباعوه من قافلة اسماعيلية كانت في طريقها من الشام الى مصر مكرا به وكيدا لابيهم ، ولم تنقض بضع سنوات حتى غدا يوسف سيدا في مصر يسيطر على شؤونها المالية . . . وطرأ قحط عم بلاد كنعان فذهب اخوة يوسف الى مصر يطلبون رزقا فعرفهم يوسف وعرّفهم بنفسه وطلب منهم احضار ابيه ، وهكذا انتقل اسرائيل واولاده الى مصر وعاشوا فيها مدة طويلة . . . توفي يعقوب نقله اولاده منها الى كهف المكفلة ودفنوه الى جوار ابيه وجده .

التيه والخروج وغزو كنعان من سنة ١٥٠٠ الى ١٣٧٠ ق . م :

توفي يوسف ، وانقضت عدة قرون تعاقب خلالها ملوك في مصر اضطهدوا اليهود وامعنوا في التنكيل بهم وذبحوا ابناءهم ، الى ان ظهر شعب موسى عليه السلام في عهد الفرعون (امنحوتب . . .) حوالي سنة ١٤٤٧ ق . م وتجلى عليه الاله طالبا اليه اقتياد شعبه الى ارض كنعان ، فخرج . . . وشقيقه هارون بهم الى حيث تاهوا اربعين سنة ، وتلقى موسى عند جبل سينا ، كلمات ربه العشر التي اصبحت فيما بعد ، اساسا للشريعة اليهودية .

واوفد موسى بعضا من رجاله للتجسس في اراضي الكنعانيين وموافاته باخبارها ، فتسللوا اليها من . . . (اشكول) وعادوا ليخبروه بانها تفيض باللبن والعسل ، ولكن سكانها جبابرة اشداء فرجع موسى وقومه الى التيه ثانية مارين باراضي العموريين ، وبلغوا اخيرا جبل (البيسجاه) المجاور لمدينة (مادبا) في شرقي الاردن . وتوفي موسى عند جبل (نبو) ولكن احدا لا يعرف قبره . . . الآن .

ثم ترأس يوشع بني اسرائيل ، فاجتاز بهم مدينة اريحا حوالي عام ١٤٠٠ ق٠م بعد ان دكوا اسوارها وقوضوا اركانها ، وتخلف نفر من قبيلته عنه تمركزوا في شرقي الاردن ٠ اما يوشع ومن بقي معه فقد حاولوا الاقتراب من اراضي الكنعانيين (بمنطقة القدس) ولكنهم هزموا امام جبابرتها وارتدوا عنها نحو نابلس في الشمال حيث قدموا قرابينهم على جبل (عيبال) ، واخذوا في التوسع بالقوة على حساب العموريين في منطقة عجلون فاحتلوا مدينة (لاخيش) واستقروا في حبرون اي الخليل ، وانتشروا في مناطق مختلفة ولكنها متقاربة ، وكان اقصى ما بلغه بهم : ميساه (مروم) اي مياه بحيرة الحولة ، ومات يوشع ودفن في قرية (تمنات) بجبال (افرايم) ٠

٤ـ حكم القضاة من سنة ١٢٧٠ الى ١٠٢٥ ق٠م٠

حكم الاسرائيليين ، بعد يوشع ، قضاة اسرائيليون اولهم (اوثنيئيل) الذي كان مقيما في حبرون ، وثانيهم (ايحوت) الذي قهر المؤآبيين ، وثالثهم (شام جار) الذي قهر الفلسطينيين ثم جاءت القاضية (دبورا) والقاضي (باراك) فتعاونا على القضاء ، وتمكنا من قهر (شيشرا) ملك الكنعانيين على ضفاف نهر قيشون ، غير ان بني اسرائيل اغضبوا الله فاخضعهم لملوك مديان ردحا من الزمن ، ثم رضي عنهم فهيأ لهم القاضي (جدعون) الذي انقذهم وانتصر على اعدائهم وبقي حاكما عليهم مدة اربعين سنة ، تولى امرهم بعدها القاضي (تولا) وتبعه (يائير) على ان الفلسطينيين والعمونيين كانوا قد استجمعوا قواهم وهاجموا بني اسرائيل ، فدحر القاضي (يفتاح) العمونيين من جهة واندحر من جهة اخرى امام الفلسطينيين الى المناطق الجبلية ٠

وتعاقب بعد يفتاح القضاة (ابزان) و (ايلون) ثم (عبدون) الذي انصب في عهده غضب الرب على الاسرائيليين فاخضعهم للفلسطينيين ، ولما تولى القضاء (شمشون) وحاول التحرر منهم اسروه ثم قتلوه في غزة ، مما اضطر كثيرا منهم الى الهرب من مناطق التي احتلها الفلسطينيون لاجئين الى شمال الحولة حيث غزوا مدينة (لايش او دان) واستوطنوها ، (وتقع دان شمالي الحولة مقربة من الحدود السورية حاليا) ٠

ـ عهد الملوك من سنة ١٠٢٥ الى ٩٣٥ ق٠م٠

يروى ان الله تعالى طلب الى القاضي صموئيل تعيين ملك على الاسرائيليين ينتقم لهم من الفلسطينيين ، فنصّب شاءول — وهو من نسل بنيامين — الذي قادهم في معركة النصر على العموريين ، الا انه طغى فقتله شعبه واقام داود خلفا له في سنة ١٠١٠ ، فانتصر داود على الفلسطينيين بعد معارك طويلة استغرقت ست سنوات ، واتخذ حبرون عاصمة لملكه ، وارغم اسباط اسرائيل على الخضوع له ، ثم دخل المدينة المقدسة وشرع يبسط نفوذه على المناطق التي تجاوره فاحتل اراضي آدوم الى اطراف موآب واجلى الاراميين عن بيسان وغزا مدينة دان واتجهت طلائع قواته صوب دمشق فلم تبلغ مشارفها ٠

توفي داوود فخلفه ابنه سليمان الذي استمر حكمه الى عام ٩٣٥ ق٠م ، وقد امتدت مملكته من نهر الاردن الى اراضي الفلسطينيين على ساحل البحر ومن مدينة دان (شمالي الحولة) الى جنوب بئر السبع (حدود مصر ٠

وكانت بعض القبائل المستوطنة في هذه الرقعة مستقلة في ادارة شؤونها الداخليـــة ولكنها لم تقاوم حكم سليمان ، يؤيد ذلك ضمنيا النص الوارد في كتاب سليمان ، من اسفار التوراة :

((ان سكان اسرائيل كانوا ناعمي البال ، كل واحد منهم يعيش في كرمه او بستانه من دان الى بئر السبع ، طيلة ايام حكم سليمان)) .

وقد بنى سليمان هيكلا في القدس تجتمع اليه القبائل والشعوب ، ووضع فيه ــ بغية اجتذاب القبائل الاخرى ــ آلهة المصريين وآلهة الفينيقيين (الصيداويين) .

وما ان مات سليمان حتى انقسم بنو اسرائيل على بعضهم ، واسفر انقسامهم عن اقامة مملكة اسرائيل في الشمال عاصمتها السامرة وملكها (يربعام) ومملكة يهودا في الجنوب عاصمتها القدس ، وملكها (رحبعام) وانتهز الاراميون هذا الانقسام فانتزعوا قسما كبيرا من مملكة سليمان .

٦ــ مملكتا اسرائيل ويهودا من سنة ٩٣٥ الى ٥٨٦ ق . م .

تمرد عشرة من الاسباط على مملكة القدس التي شاهدها ، من قبل ، داوود وسليمان ، واقاموا دولة لهم في نابلس اعلنت حربا لا هوادة فيها على مملكة يهودا ، استمرار ادارة ... الملك (اومري) الذي انتزع قسما كبيرا من هذه المملكة ضمه الى اراضيه وانشأ مدينة السامرة . ثم خلفه ابنه (آحاب) الذي حلت عليه نقمة الرب لانه اقترن بابنة ملك صور ونصب ... بعل الفينيقي ــ على جبل الكرمل + وطلب الى قومه ان يعبدوه ، فاذله الارا...ونـــ... الآراميين ، اهل دمشق ، ومكنهم من الاستيلاء على نصف مملكة اسرائيل ومن الاغارة على مملكة يهودا . كان لابد لملك يهودا من ان يستنصر (تغلات بلاسر) الاشوري على ... ــ الاسرائيليين والاراميين ، فانتصر له ملك آشور وردهم عنه ، الا انه احتل قسما كبيرا من مملكة اسرائيل ، ولما حاول ملكها هوشع عام ٧٢٠ ق . م اجلاءهم عنها زحف الملك (شلما نصر) على رأس جيش كبير احتل مدينة (ماجدو) وحاصر السامرة ، الا انه مات اثناء الحصار ، واتم (سرجون) هدمها عن بكرة ابيها عام ٧٢١ ق . م ونقل الاسباط العشرة من اسرائيل الى آشور وضم مملكة يهودا الى ملكه ، ولما استنجد سكانها بالمصريين عام ٦٠٦ ق . م . هدمهم (سنحريب) في عسقلان وكاد ان يستولي على بيت المقدس لولا ان فتك الطاعون بجيشه واضطره العودة الى بـــــــلاده .

حاول يوشع مرة اخرى الثورة على آشور مستعينا بالفرعون (نخو) ، ولما قتل يوشع في معركة (ماجدو) التي كانت الغلبة فيها للمصريين اصبحت مملكة يهودا تابعة لهم .

٧ــ السبي البابلي والحكم اليوناني من سنة ٥٨٦ الى ١٤٠ ق . م .

وفي سنة ٦٠٤ ق . م استولى (بختنصر) البابلي على مملكة آشور ، فزحف بجيوشه نحو ... فلسطين وقتل يواكيم ملك يهودا وانتزع من المصريين جميع المناطق التي كانوا يحتلونها . ولما جرب اليهود ان يتمردوا على سلطة بابل سنة ٥٩٨ ق . م . اعاد بختنصر عليهم الكرة فاحتل القدس وهدم الهيكل واسر بني اسرائيل واجلاهم عن ارض كنعان .

ظل اليهود في الاسر حتى والت دولة البابليين بتغلب الفرس عليهم عام ٥٣٩ ق ٠ م في عهد (كورش) الذى اذن لمن اراد منهم بالعودة فعاد معظمهم بقيادة عزرا ونحميا ٠

وفي القرن الرابع قبل الميلاد اخذ اليهود يتصلون باليونان ، فلم يأت عام ٣٣٢ ق ٠ م الا وهم تحت حكم الاسكندر المكدوني ، توارث حكمهم من بعده خلفاؤه الى سنة ٢٠٣ ق ٠ م حيث احتل (انطيوخس الكبير) ملك سوريا اراضيهم وارغم قسما منهم على عبادة الاله (زفس) وعلى استبدال اسمائهم ، فهجر معظمهم بيت المقدس الى جبال (افرايم) عام ١٦٨ ق ٠ م ليعبدوا الله على شريعة موسى ، واخذوا يغيرون على اعدائهم بين الفينة والفينة بقيادة (ماتاثياس) واولاده الخمسة ، وتسنى لاكبرهم (مكابيوس) بعد عامين ، تطهير الهيكل والحصول على رقعة صغيرة لا تتجاوز القدس وقرى قليلة حولها ، ـ استقل اليهود فيها ، واستأنفوا ممارسة شعائرهم الدينية فترة لم تزد على ثلاثة اعوام ، اذ استرد السوريون سيطرتهم على القدس حتى سنة ١٦١ ق ٠ م ٠

ـ الوصاية الرومانية وظهور السيد المسيح من سنة ١٤٠ ق ٠ م الى سنة ١٣٨ ميلادية

استولى بومباى ، القائد الروماني على فلسطين وسوريا ، ووافق ملك روما على تنصيب احد زعماء اليهود ملكا على المنطقة الواقعة بين القدس وبيت لحم وبيسان يطلق عليها اسم مملكة يهودا ... شريطة ان تعتبر المملكة ولاية تابعة لسوريا ، وان تقيم الى جانبه حاكما عاما رومانيا او سوريا يتدخل بشؤونها ، بل لقد فرضت روما على اليهود ملوكا اغرابا من الادوميين وغيرهم ، اشهرهم هيرودوس الكبير الذى ملك من سنة ٣٧ ق ٠ م الى سنة ٤ ميلادية ، وكان القائد بيلاطوس النبطي الحاكم الروماني العام عندما ظهر السيد المسيح عليه السلام ٠

وفي عام ٦٦ م ثار اليهود على الاباطرة وفشل (فسبانيانوس) بتهدئتهم ، واتفق ان استدعي لتبوء العرش فعين ابنه طيطوس قائدا عاما واصدر هذا امرا باجلاء اليهود جميعا عن فلسطين فحاول بعض منهم عصيان امره واعتصموا في قلعة (مسادا) فهدمها طيطوس سنة ٧٠ ق ٠ م واسر حاميتها واسر (شمعون باركوخيا) قائد اليهود ، ومحا بيت المقدس واحرق الهيكل ، فشرع اليهود بالمهاجرة ولم يات عام ١٣٢ الا وفلسطين خالية منهم ثم اطلق على القدس اسما جديدا هو (ايليا) وقد عرفت به حتى دخول المسلمين ٠

فاذا نحن سبرنا غور تاريخ فلسطين الموغل في القدم (اى خلال ٣٠٠٠ سنة قبل العبرانيين) واخذنا بما انتهت اليه التحقيقات العلمية التي قام بها المؤرخان الانكليزيان (باتو) و (روبنسون) والمؤرخ الاميركي (برستد) والفرنسي ـــــــ (رابوبور) من ان : ((قبيلة عربية اسمها (معان) كانت تقطن في جنوبي فلسطين منذ القرن الاربعين قبل الميلاد ، وان وجود السكان فيها يرجع الى عهد قديم جدا يقدره الدكتور (ماكس بلانكنكورن) وغيره بعشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وانه قبل ان يضع اليهود اول قدم لهم في فلسطين كانت موطنا لأقوام اقوياء ذوى قومية ومجد وحضارة ، كالكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين وغيرهـــــــم)) ٠

اقول اذا نحن سبرنا غور التاريخ وتدرجنا مع وقائعه التي عرضنا لها بايجاز ، والتي اعتمدنا في تحقيقها المراجع العبرية والدليل السنوى الذى اصدرته اسرائيل نفسها بالانكليزية عام ١٩٥٣ فانما نخلص الى ان حق اليهود المزعوم في فلسطين غير مؤيد في التاريخ ولا في الكتب اليهودية المقدسة ولا في الحقوق الدوليـــــة ايضا ٠

فمن الناحيـــة التاريخيـــة :

— ليس اليهود وعدهم ابناء ابراهيم (الذى وعده الله بالارض المقدسة) ، فقد ولد له اسماعيل واسحق ، وانجب اسحق ولدين هما يعقوب (جد الاسرائيليين) وعيسو (جد الادوميين) وان هؤلاء لم ينفصلوا عن اليهود (الاسرائيليين) بل اتخذ بعض الادوميين ملوكا على اليهـــود .

— ان الله امر موسى عليه السلام بنشر دينه في مصر الفرعونية ، فلم يكفر فرعون بالرسالة الجديدة ويضطهد اليهود لما فكروا بالعودة الى فلسطين . وقد رافقهم في طريقهم اليها (كلاجئين لا كفاتحين) كثير من غير ابناء يعقوب والاسباط ، كالمديانيين — والادوميين والمصريين .

— ان يهود هذا العصر ليسوا جميعا من نسل اليهود الذين طردوا من فلسطين ايام الحكم الروماني ، وان هؤلاء لم يكونوا جميعا من نسل الاسباط الاثنى عشر ، ... عن ان الوقائع المنطق التاريخي تثبت بان دم اليهود قد سيطر بدماء ... ادل على ذلك من اقتران موسى عليه السلام من فتاة غير يهودية ، وان ... الاخرى اعتنقت اليهودية باعتبار انها تدل بالتوحيد . فمن الثابت كانت ... العبرانيين وتقاليدهم لا تختلف عن لغات وعادات القبائل المجاورة ، ويقرر علماء ... ان العبرية لهجة من اللهجات الكنعانية التي كانت سائدة في فلسطين ...

— ان ابراهيم عليه السلام لم يات وحده من (اور) الكلدانيين الى فلسطين بل رافقه اناس آخرون في جملتهم ابن اخيه لوط ، وكانت فلسطين ... باقوام مختلفة كثيرة ، متباعدة عن بعضها فلم تكن تؤلف وحدة وطنية ، بل كانت ... وراء مايسمونه اليوم ب (المجال الحيوى) الذى يوفر لها الرخاء ويتلائم مع ... فالزراع يتمركزون في الاراضي الخصبة والتجار في المناطق الساحلية ، فبينما كان الكنعانيون يقيمون في اواسط البلاد وفي المناطق الجبلية منها يمارسون الزراعة ورعي الماشية وتمتد اراضيهم من جبال الكرمل الى مشارف القدس ، كان العمالقة والعموريون والادوميون — والموآبيون واليابسيون في الزاوية الجنوبية الشرقية من البلاد ويعيشون على ... والسلب ورعي الماشيـــة .

اما الفلسطينيون — وقد اثبتت التتبعات التاريخية والمكتشفات الاثرية انهم ... من اصل يوناني — فكانت تمتد اراضيهم من اطراف مدينة يافا الى جنوب مدينة غـــزة وتسير شرقا الى منتصف الطريق بين الساحل والقدس وكانت اشهر مدنهم غزة وبيتا ... وبيت داجون وعسقلان وبيت جبرين ، اى ان مساحتها حوالي ١٠٠٠ كيلومتر مربع .

وهناك الفينيقيون الذين استقروا في المنطقة الساحلية الممتدة الى شمال اراضي الفلسطينيين ابتداء من خليج حيفا الى حدود سوريا الشمالية ، فالارض التي آوى اليها اليهود كانت — لا تزيد على ٨٠٠ كيلومتر مربع — تقل كثيرا عما يملكه الفلسطينيون او الكنعانيون او غيرهم من الاقوام .

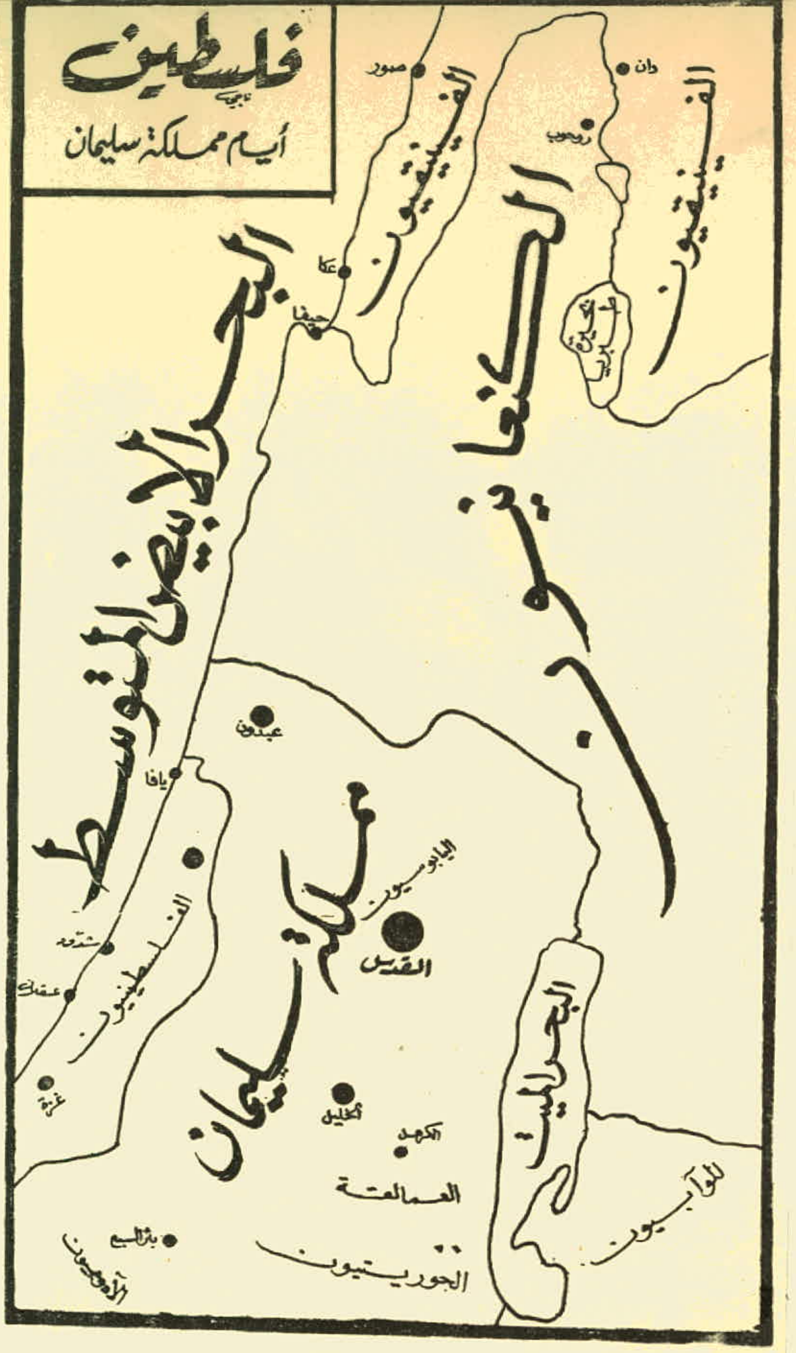
على ان ارض اليهود غصت بسكانها نظرا لطبيعتها الخصبة من جهة والمتزايدين من الذين الجديد من جهة اخرى ، فربا اهلها على ٤٠٠ الف نسمة خلال قرن واحد من دخول اليهود اليها — وقد كانوا ٥٠ الفا — وشب صراع عنيف بينهم وبين الاقوام المجاورة — وتمكنوا من قهر سكان القدس — المعروفة آنذاك باسم يابوس — الذين كانوا في آخر مدة يعيشون على الصدقات ، بينما ارتدوا عن اراضي الكنعانيين والفلسطينيين اكثر من مرة ، وانا اريا — قبل ان تتوفر لهم عناصر الغلبة — للتوغل في الاراضي الواقعة بين اراضيهما حتى بلغوا الساحل في شمال يافا ، واستقر بعضهم على ضفاف نهر العوجة الذى تقع عليه مدينة تل ابيب الآن .

واول من حاول التوسع حربا على حساب جيرانه الاقوياء هو شاوول الذي انتخبته عشائر اليهود ملكا عليها فكان اول ملك في اراضي الميعاد ، الا انه عجز عن ذلك وقتل في معركة مع الكنعانيين ، ومايزال قبره قائما على مقربة من مدينة رام الله .

وخلفه داود عليه السلام ، فاستطاع — على حداثة سنه — توسيع الرقعة اليهودية بـ ... وضم مناطق اليها باعتبار صلة القربى بين سكانها وبين اليهود ، كالادوميين ابناء عيسو والعموريين ابناء لوط ، والموآبيين الذين اعتنق معظمهم اليهودية ايام يوشع النبي ، فاتسع ملكه — وكان معظم قواده من الاقوام التي انضمت لملكه — حتى بلغ اطراف نابلس شمالا ومدينة السلط (بالاردن) شرقا ، والكرك جنوبا ، وغزة غربا ، وعندئذ فكر داوود في نقل عاصمة ملكه الى القدس ، وبعد حكم استمر ١٢ سنة خلفه ابنه سليمان فحذا حذو ابيه في التوسع وامتدت رقعة ملكه من ... الى حدود مصر ومن خليج عكة الى بئر السبع ، والقول الفصل في ذلك وارد في المظان العبرية والكتب المقدسة من ان ((مملكة سليمان كانت تمتد من دان الى بئر السبع)) ودان هذه — مدينة قديمة تقع الى الشمال من بحيرة الحولة (عند الحدود السورية الفلسطينية ...) .

وعقد سليمان من جهة اخرى معاهدات واتفاقات مع الملوك المجاورين ... وابقاء على استقراره ، فتعاهد مع حيرام ملك صور وصيدا وعكا ، واتفق مع فرعون مصر ... ابنته ... بل لقد ذهب الى ابعد من ذلك حيث وضع آلهة المصريين والفينيقيين في ... ، ومازال عبثا الاتفاق مع آرام ملك دمشق .

فمملكة سليمان لم تشمل بالواقع اكثر من نصف فلسطين (المعاصرة) وقسما صغيرا من — الاردن لايتعدى الغور وعجلون واطراف الجولان ، ولم يحاول سليمان ، وهو النبي الحكيم ، تحقيق (الوعد السماوى المزعوم) وابلاغ ملكه حدود النيل والفرات ، ولم تكن له ... نطاق ملكه الذى حددناه — سلطة دنيوية او دينية ، كما ان عمر المملكة اليهودية ، في ... داوود وابنه ، لم يجاوز ٧٥ عاما ، حيث دب النزاع بعد وفاة سليمان وانقسمت دولته الى قسمين استعرت بينهما نار الحرب فاضعفتهما وعرضتهما لغارات اهمها تلك التي شنها بختنصر الذى هدم الهيكل ودمر اورشليم ، وتركت اليهود ردحا طويلا من الزمن سبايا هائمين على وجوههم لاسيادة لهم ولا كيان ، الى ان اذن لهم كورش الفارسي بالعودة فاستجاب بعضهم وعادوا — ليبنوا الهيكل الثاني الذى حطمه طيطوس الروماني ، وليتشردوا في انحاء الارض من جديد .



وقد اثبتنا في اعلاه خارطة اقتبسناها من كتاب فريد من نوعه مطبوع في فيلادلفيا عام ١٨٥٦ في حوزة السيد سعيد مخيش من اهالي دمشق ... اسمه

لمؤلفه اليهودى (غولمن) والذى يشرح فيه التوراة بالانكليزية ، فتوضح الخارطة بجلاء ان مملكة سليمان المزعومة خرافة اصطنعها اليهود لدعم ادعاءاتهم الباطلة وان ((شعب اسرائيل)) لم يتمتع بسيادة ذاتية على هذه البلاد ، بل كانت سيادته متقطعة لا تعتبر شيئا اذا قيست بعمر التاريخ ، ولا تضم سوى مناطق معينة من فلسطين تتفاوت بين المد والجزر . وبالتالي فان العرب الذين اجلوا دولة الرومان عن سوريا الطبيعية بكاملها منذ مستهل القرن السابع الميلادي ، ظاروا متمركزين في فلسطين منذ ذلك التاريخ حتى عهدنا الحاضر ، يؤلفون الاغلبية الساحقة من السكان ويعيشون فيها عاملين مستقرين ، يدافعون عنها ببسالة كلما تعرضت لغزوات الفاتحين . ، واذن فهم وحدهم اصحاب الحق الشرعي فيها .

ومن الناحية الدينية :

- ولما مات موسى عليه السلام ، لم يفكر اليهود في تعيين خلف له من وجوههم بل قرروا التمـ[illegible] بالناحية الدينية وحدها ولذلك فقد امروا عليهم النبي الذي اعطيت له الرسالة من بعد وفاة موسى وهو يوشع بن نون الذي فتح اريحا ولكنه لم يقم فيها (رغم انها من الاراضي المقدسة) لانه كان يبحث عن منطقة تصلح للحياة المادية وتيسر لابناء قومه اسباب المعيشة فاتجه [illegible] الى منطقة الخليل وبئر السبع .

- رأينا ان اراضي اليهود لم تبلغ في يوم من الايام الرقعة التي يزعمون ان الله وعد بها [illegible] (شعبة المختار) ((من النيل الى الفرات)) وان سليمان وغيره من النبيين لم يجاهدوا بل لم يحاولوا تحقيق الوعد الرباني ، وهذا مايدعو الى الجزم بان هذا الوعد مدسوس [illegible] ، فلنقف وقفة قصيرة عند الكتب المقدسة اليهودية فان فيها الخبر اليقين :

التـــوراة :

كلمة محرفة عن كلمة (ثورات) وهي مجموعة تاريخ الثورات التي وقعت لبني اسرائيل في العهد القديم وتسمى بالفرنسية (بيبل) واشتقاقها من (بيليون) — اليونانية التي تعني (الكتاب الكريم او الكرم نفسه) . تشتمل التوراة التي بيـــن ايدينا على كتب بني اسرائيل المقدسة وعددها ٤٦ ، وتنقسم الى :

١- مجموعة تبحث تاريخ العالم منذ الخليقة الى خراب المملكة اليهودية .
٢- عيون الاداب اليهودية القديمة كمزامير داوود وامثال سليمان
٣- كتابات الانبياء مثل اشعيا وغيره .

التلمـــود :

وضع بعد المسيح ، وهو مجموعة من التعاليم الشفهية التي القاها موسى على امته فتناقلها السلف عن الخلف معتمدين على الحافظة الى ان دونها (يهودا هناسي) ، وقد نقل الجزء الاول منها الى العربية الدكتور موبال عام ١٩٠٩ . وثمة كتب اخرى مثل (الحجارة) و (المدراش) و (الميشينيه) وغيرها ...

فاين ومتى ورد ذكر الوعد المزعوم وما هو مدى صحته بالنسبة للتحقيق العلمي الدقيق ؟! الكتب اليهودية المقدسة خالية كلها من الوعد المزعوم الا ما جاء في سفر الخروج بالتوراة ونصه : ((وفي اليوم نفسه عاهد الله ابراهيم قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصـــر الى النهر العظيم الفرات)) .

وهذا النص الوحيد يرد عليه الطعن من نواح عدة ، فالرأي السائد لدى المحققين انه دخيل على [illegible] التوراة ، والشواهد على ذلك كثيرة

- جاء في الصفحة ٦ من التلمود ((اعلم ان كلا من الوصايا والنواهي التي تلقاها موسى قد تلقى معها تفسيرها ، فكان عند تلقيه الامر الالهي يدخل خيمة الميعاد فيتبعه هارون فيعلمه الوصية الالهية وتفسيرها ثم يدخل العازار وايتامار ولداه فيعلمهما موسى ما [illegible]

لوالدهما ثم يدخل الشيوخ فيعلمهم ماعلمهما اياه ثم يدخل نفر من العامة فيلقي عليهم نفس الدروس ، ثم يرجع موسى فيراجع هارون نفس الدروس للجميع ثم يخرج هارون ويراجع ولداه نفس الدرس ثم يخرجان فيعيد الشيوخ ذلك الدرس للعامة فيكون كل منهم قد سمعه اربع مرات))

يؤيدون ماجاء في كتاب (الآغادا) المتدرالذى يبحث في تاريخ اليهود حتى السبي البابلي ، من ان عزرا الكاهن هو الذى كتب التوراة من جديد وضم اليها آراء من شأنها ايقاظ التعصب عند اليهود بغية انتشالهم من خيبة الامل المريرة التي خلفها السبي البابلي •

— ان القسم الاول من التوراة مؤلف من خمسة اجزاء وهي المعروفة بتوراة موسى ثم اضيفت اليها فيما بعد كتب الانبياء امثال يوشع وشموئيل والانبياء المتأخرين امثال دانيال واستر وايوب ، وكتابات اخرى متأخرة عن السبي البابلي • ويدعي ان وسائل الكتابة كانت في زمن موسى مقتصرة على النقش على الاحجار دون غيرها من الوسائل التي استعملت فيما بعد كرق الغزال وجلود الحيوانات الاخرى وورق البابيروس ، ويقر اليهود انفسهم ان التوراة الاصلية ((يمكن نقشها على عشرة احجار)) ، فاذا سلمنا جدلا بان العبرانيين القدامى نقشوا الاجزاء الخمسة (توراة موسى) لما تجاوزت استيعاب عشرة احجار ، فاين التوراة الاصلية من التوراة التي بين ايدينا •

— والدليل العملي على فقدان نص الوعد المزعوم من التوراة الاصلية احجام سليمان النبي حتى عن محاولـــة تحقيقـــــه •

— ان فئة المتدينين من اليهود المعروفين (بالسحرة) والمقيمين في نابلس لايؤمنون من التوراة الا باسفار موسى الخمسة ، ولديهم نسخة قديمة كتبت على رق (قبل المسيح) وهي اقدم نسخ التوراة • وهذا يعني ان كتاب التوراة قد وضع على ايدى عدد كبير من علماء اليهود الذين تعاقبوا هذا العمل الواحد بعد الاخر ، وقد حاول عدد آخر من العلماء اليهود ان يضموا الى التوراة اقساما اخرى من الكتب الدينية المتأخرة الا انهم عدلوا عن ذلك بعد ان تبين لهم ان هذه الكتب تحتوى على فصول يجب ان لايطلع عليها غيرهم لما تضمنته من معاني واغراض سرية يتلقنها اليهود فقط جيلا عن جيل ، فكتبهم تنقسم الى قسمين احدهما سري والآخر علني وهذا الاخير يتضمن المعلومات والاشياء التي يريد اليهود اطلاع العالم كله عليها بحجة ان الله هو الذى انزلها لتحقيق غايات معينة ، ومن بينها خرافة المملكة التاريخية التي تمتد من الفرات الى النيل ، اما القسم السرى فيتضمن الطرق والاساليب التي يجب على اليهود اتباعها للوصول الى تحقيق هذه الاغراض ، وقد وردت هذه الطرق ملغوزة معماة يتناقل معانيها علماء اليهود وحكماؤهم دون الناس جميعا •

— وثمة دليل آخر نورده لصدوره عن مجلس اللوردات الانكليزى كما اورده المقرر القضائي لجريدة التايمس اللندنية في ١٠ حزيران ١٩٣٠ ، فقد ادعت الجمعية الصهيونية ان الاراضي التي تشتريها الكيرن كيامت غير خاضعة لضرائب رسوم الدخل في فلسطين بداعي انها جمعية خيرية فرفضت ادارة المالية ذلك الادعاء بتقرير مستفيض دعمته بالحجج والبراهين منها : انها تعتبر جمعية سياسية تشترى الاملاك لاجل استثمارها ، فاستأنفت الجمعية الصهيونية هذا القـــرار الى محكمة الاستئناف في فلسطين فايدت هذه المحكمة قرار ادارة الماليـــة وقضت بالزام الجمعية

١٨٠٢٥٩

دفع الرسوم والضرائب عن جميع الاملاك التي تخصها ، فميزت الجمعية هذه الدعوى الى مجلس اللوردات في لندن ، وقد انتدب هذا المجلس لجنة منه للنظر في هذه القضية ، وبعد الاطلاع على قانون الجمعية تبين له منه ان الحركة الصهيونية لاتقتصر على فلسطين فقط بل ان نطاقها يمتد الى سوريا ولبنان والعراق والى ابعد من ذلك ايضا ، وان قانونها يتضمن ادخال هذه الاراضي في حوزة الامة اليهودية ، وقرر مجلس اللوردات ... محكمة تمييزية تصديق قرار ... الاستئناف الفلسطينية واوجب على الجمعية الصهيونية دفع الرسوم والضرائب القانونيـــة .

وفيما يلي فقرات ملخصة من اقوال العضو اللورد طوملين . قال اللورد طوملين في جلسة مجلس اللوردات للنظر بهذه القضية : ((ان هذه الشركة المميزة هي بموجب القانون الخاص بالشركات جمعية بمثابة شركة محدودة تؤلف جزءا من الجمعية الصهيونية العالمية التي غايتها اعادة اليهود الى الارض المقدسة وتجديد كيانهم عليها ، ولكن هذه الشركة كانت في الظاهر منفصلة عنها .

ومكتب هذه الشركة في انكلترة ، ولها فيه كاتم اسرار ، وقد عرفت كجمعية استعمارية تسعى لتحصيل مادياتها اجمالا من الاعانات والتبرعات التي يجود بها اليهود في اقطار العالم كافـــة وقصدها الرئيسي هو الحصول على حقوقها في ارض الميعاد ((كملك مكتسب)) للشعب اليهودي لاجل التوطن والاقامة فيها وتأليف حكومة سياسية بعد ان تتمكن من جمع شتات الامة اليهودية ، وقد صرح بهذا مرارا ، وهو ان تكون فلسطين وسوريا وجزيرة سينا ومقاطعات اخرى في تركيا الاسيوية ملكا شرعيا لليهود)) ...

وبعد ان استشهد اللورد بنص المادة ٢٧ من قرار ضرائب الدخل الصادر في سنة ١٩١٨ وبما جاء في سفر التكوين حول ارض الميعاد وفي الاصحاح التاسع عشر ومايليه من اشارة الـــــى الكنعانيين والقدمونيين وغيرهم ، قال :

((فاذا اعتبرنا هذا التحديد تحديدا جغرافيا ، فانه يعني — كما جاء في الفرع ... من البند الثالث من قانون الكيرن كايميت : فلسطين وسوريا وكل قسم من تركيا الآسيوية وجزيرة سيناء والآن يجب ان نلاحظ بان صك تأسيس الكيرن كايميت قد نظم سنة ١٩٠٧ ، وحدود تركيا الاسيويـــة كانت اذ ذاك لايستهان بها ، وقد تجاوزت فلسطين وسوريا وشملت آسيا الصغرى ومقاطعات اخرى ايضا . ان آسيا الصغرى وغيرها من المقاطعات خارجة عن فلسطين وسوريا ولايمكن اعتبارها داخلة ضمن الحدود المذكورة في سفر التكوين)) . ثم اضاف اللورد : ((وهناك سبب آخر يقضي علـــى دفاع المميزين وهو في تحديد المنطقة ، لان كل الدفاع المتعلق بالصفة الدينية مربوط برجـــوع اليهود الى مايسمونه ارض الميعاد ، والواقع ان هذه المنطقة (اى فلسطين) بعيدة عن ارض الميعاد ومعنى الوعد ، واذا فرضنا انهم مصيبون بالنظرية التي يتخذونها بحرمانهم لاستيطان اليهود في ارض الميعاد بل لايجاد وطن لهم في اراضي لم تكن ولن تكون قسما او جزءا من اراضي الميعاد . وعندها تصادف امامك مزيجا من مقاصد دينية وغير دينية لايمكن تجزئتها ، وهـــذا المزيج يقضي على الادعاء القائل بان هذه الجمعية قد تأسست لمقاصد خيرية فقط .

من اجل ذلك اقر واعترف ان النقطة الاولى من الادعاء بان هذه الجمعية هي دينية خيريـــة قد فشلت تماما)) .

وانتهى اخيرا تمييز الدعوى الى فشل ذريع فقد اجمع اعضاء مجلس اللوردات على تصديق قرار

محكمة الاستئناف وسقط بمعرضها الزعم القائل بحق اليهود في ارض الميعاد وبالتالي في عودتهم الى هذه الارض .

الحق المزعوم بالنسبة للقانون الدولي :

اتفقت مبادئ الحقوق الدولية القديمة منها والحديثة على رفض نظرية (الحق التاريخي) لعدة اسباب :

الاول : حق الفتح : يعرف الاستاذ بوند الفتح بقوله : ((انه زوال الدولة المغلوبة بكاملها وقيام الدولة الغالبة على انقاضها بحيث لا يبقى لها بعد ذلك وجود بين الدول))
وهذا التعريف ينطبق كليا على ماحصل بمملكة اليهود الشمالية عام ٧٢١ ق . م .

ومملكة الجنوب عام ٥٨٦ ق . م وعلى فعله طيطس الروماني بالشعب اليهودي في عام ٧٠ م
وحق الفتح هذا معترف به بين الدول القديمة ، يؤيد ذلك ماقرره الاستاذ فوشيل في كتاب (القانون الدولي — باريس ص ٧٦٣) . اما القواعد الدولية الحديثة فلاتجيز للغالب امتلاك اراضي الدولة المغلوبة على امرها ولاتنتقل السيادة من دولة لأخرى دون رضى سكانها ، والحق المقرر للشعوب في تحديد مصيرها بموجب شرعة الامم ابرز مثال على ذلك . فاذا اعترض اليهود بان الفتح لايكسب الفاتح حقا (حتى في العصور القديمة) وان حق العرب من هذه الطريق باطل ، فان اعتراضهم ينقلب حجة عليهم حيث تصبح فلسطين من حق سكانها الاولين (الذين سبقوا اليهود اليها بكثير) وهم الـ . . والكنعانيون والاموريون المستعربون ، بل من . . العرب وحدهم اذا اخذنا بتحقيق مؤرخين انكليزيين وثالث اميركي وآخر فرنسي . . رابوبور ورفاقه .
هذا ، الاعلان الاستاذين محمد كرد علي في كتابه (خطط الشام) وكليرمونت . . . في كتابه (فلسطين المجهولة) يقرران بان فلسطين كانت خالية من اليهود حين استولى عليها العرب من ايدي البيزنطيين ، واكثر من هذا فان البيزنطيين انفسهم اعترفوا بمشروعية يد العرب على فلسطين بموجب المعاهدة المعقودة مع الخليفة عمر بن الخطاب التي تنازل بموجبها صفرونيوس عن البلاد وسلم مفاتيح القدس الى عمر ، وهذه حجة تاريخية قانونية لم يحظ بمثلها احد من الفاتحين — السابقين ، فكيف يحق لليهود ، بعد ، انتزاعها من العرب ؟! . .

مرور الزمن :

اعترفت الدول في معاملاتها بمبدأ اكتساب الحق بمرور الزمن ، وايد وقوع هذا التعامل الاساتذة فوشيل ، بلونشلي ، اديفيه ، كالفو ، كريتيان ، هول ، هوشرى ، هايد ، لورنس ، لوتر ، نيس ، وينهايم ، اورتولان ، فيليمور ، وستليك ، ويتون وغيرهم من اعلام القانون الدولي (راجع الصهيونية المؤلفة الدكتور سعدى بسيسو) وذهب العلماء القدامى الى ان مرور الزمن كاف لاثبات الملكية مهما كان اصله ، ومنشئه ، بينما اشترط له علماء الحقوق الدولية المعاصرين :
— ان تكون الدولة قد وضعت يدها فعلا على الاراضي التي تدعي بها وتصرفت بها فعليا بصفتها الحاكم المطلق وباعتبارها جزءا لايتجزأ من البلاد الاصلية .
— الشهر والعلنية واستمرار وضع اليد دون منازع .
— انقراض الدولة المغلوبة وامحاء آثارها القومية وتبدد سكانها الاصليين وحلول رعايا الدولة —

الغالبيـــــة محلـــــــم .

وهذه الشروط كلها مفقودة بالنسبة لوضع اليهود في فلسطين ـ كما سبق واوضحنا ذلك .. وعلى النقيض فانها متوفرة كلها بالنسبة للعرب الذين مارسوا السيادة المطلقة فيها منـــــذ عام ٦٣٦ م (على الاقل) ضمن حدود الاعراف الدولية القديمة والتقنينات الحديثة .

اعتـــــراف اليهود :

يقول المؤرخ اليهودي (رايناش) في صفحة ٤٥ مايلي : ((لقد كان رؤساء الدين في بابل اول من جاهر بالمذهب الذي يفرض على اليهود ان ينزعوا من كتبهم الدينية وصلواتهم كل مالايتفق مع قوانين البلاد التي نزحوا اليها ولاسيما مايتعلق بالامور السياسية او بالعودة الى فلسطين . ويقول في صفحة ١٣ مانصه : ((اجمعت كلمة كثير من الثقاة اليهود وغيرهم ، ويؤيد ذلك الحفريات والآثار ، ان اليهود كانوا منتشرين منذ القرن الاول للميلاد في جميـــع جهات حوض البحر الابيض ، ومنذ ذلك الزمن البعيد لم يبق لليهود اى صلة بفلسطين ، ولم يفكروا بالعودة اليها بل انهم على العكس من ذلك قد تفرقوا في كل مكان لايندمون شيئا غير استيطان المدن التجارية الزاهرة طلبا للربح الوفير)) . ويقرر المؤرخ ايلي كوهين اليهودي في صفحة ١٤٧ : ((وفي اوائل الامبراطورية الرومانية اكتسب اليهود بطلبهم الجنسية الرومانية واصبحوا وطنيين رومانيين)) .

واكثر من هذا كله ما يحدثنا به دوبان (ص ٢٥٢) وبرنفلد (ص ٥٣) في كتابه (الماسونية) بانه تم اندماج اليهود في معظم بلدان اوروبا ، على اثر تأكيد (اسرائيل) بالنصف الثاني من القرن ١٨ برغبته في البقاء (طائفة دينية) ورغبته عن ان يكون (امة) . اضف الى ذلك ماورد في كتاب (تاريخ الاسرائيليين لمؤلفه الفرنسي دوبنوف حول اعلان المؤتمر اليهودي العام المعقود في باريس سنة ١٨٠٧ بان ليس للامة اليهودية اى حق في المطالبة بفلسطين وكل ماله علاقة بالرجوع اليها اوتأسيس دولة فيها ، وايدت مؤتمرات روما وفينا وبرلين وغيرها مقررات مؤتمر باريس في هذا الصدد .

خاتمـــــة الفصل =

تراءى لي من خلال تتبعاتي ان بعض العقول ماتزال متأثرة بعض الشيء باثارة الحق المزعوم ولاعجب فان الدعاية اليهودية الصهيونية اثارت عقولا نيرة كثيرة ، وهذا ماحدا بي الى الاسهاب والتفصيل ـ بالنسبة لاستيعاب الرسالة ـ وعسى ان يكون فيه الغناء والكفاء المبنيين على الحقائق الدامغة والوقائع الثابتـــة .

الفصل الثانـــــــــي

قـــــدم الصهيونيـــــة — كره اليهود للنبيين والناس جميعا

× × × × ×

يرى بعض المفكرين ان الخطر اليهودي هو اهم مسألة سياسية اجتماعية تواجه العالم المتمدن وهم يعرفون هذا الخطر بانه محاولة خفية منظمة تدبرها اليهودية لاستعباد العالم وصهر كل دين غير يهودية • ويقولون ان هذه الغاية تجول في ذهن اليهود على كر العصور ، بل ان اليهودية كما يصورها الاحبار تستند الى فكرة ان اليهود هم شعب الله المختار الذى يجب ان يسود العالم في وقت من الاوقات • وان هذه الفكرة قد مثلت في دعوات الاحبار وفي تقاليد الكابالا اليهودية وموارد ها وفي تعاليم التلمود •

قـــــدم الصهيونيـــــة : ذهبت فئة من المحققين الى ان الصهيونية قديمة جدا ، وانها ... محكمة الحلقات تبلورت اخيرا بمفهومها الحديث كما ظهر في موتمر بال عام ١٨٩٧ ، وقد وضعت في الصفحة ٦٩ من موءلف بالتركية — اسمه : تركيا انقلابنك ايج يوزى ، اى خفايا الانقلاب التركي للموءلف مولان زاده رفعت ، طبعة سنة ١٩٢٩ — على نص تعريبه : ((الجمعية الصهيونية هي اشهر جمعية سرية في الدنيا ، تأسست سنة ١٢٥ ميلادية ، وتشكيلاتها واسعة تستهدف الــ احياء انقاض مملكة سليمان وجعل اقتصاديات العالم في قبضة اليهود • • •))

صلتها بالماسونية وتوءمها معا :

وبقرر الاستاذ يوسف الحاج في الصفحات ٣٨ — ١٦٨ من كتابه ، هيكل سليمان ، فيـــ معرض التدليل على ان الماسونية وليدة الصهيونية ومحافلها ادوات طيّعة لتنفيذ غايات اليهـــود ((ان اليهود هم سبب شقاء البشر قديما وحديثا بما ينصبون له من المكائد والموءامرات لدك العروش وخراب الدول ومحو روح الايمان من قلوب (غير اليهود) مستندين على مالهم ، ليصلوا بواسطته الى هدفهم الخاص الذى هو الاباحية العامة ، وبالتالي انشاء المملكة اليهودية في فلسطين واعادة بناء هيكل سليمان الذى هو رمز جنسيتهم ، وفيه فقد اجتمع حكماء بني اسرائيل بعـــــد خروجهم من مصر بسنتين على سفح جبل في صحراء سيناء اى سنة ٢٥١٥ (التوراة تيقون) في المكان الذى عسكر فيه جيشهم واسسوا اول محفل ماسوني ، واما الانوار الماسونية الاخرى فتسمى الانوار الرمزية اى التي ترمز الى ذلك النور الاول ، والانوار هي : (سرادق الشهادة وتابوت العهد) وقد سمي المحفل الاول : بالمحفل الممجد او الطاهر • وفي سنة ٣٧ — ٤٤ بعد الميلاد اسس ((هيرود وس اغريبا)) حفيد هيرود وس الكبير الذى قتل اطفال بيت لحم محفلا آخر ، وقال للذين عاونوه على تأسيسه ما يأتي : ((ان اول واسطة نعمل بها جمعيتنا عظيمة وخطيرة ومشوقة هي ان ندخل في عقول الناس انها جمعية قديمة لا يعرف شيء عن تاريخ انشائها ولا من هو مؤسسها لان الملك هيرود وس قد وجد في خزائن ابيه اوراقا قديمة تشير الى جمعية قديمة ذات اشارات وقوانين فاحب ان يجددها ، فبهذا الكتمان نخفي الغاية التي من اجلها اسسنا جمعيتنا عن كل انسان)) •

ثم يتكلم الاستاذ الحاج عن الماسونية الرمزية من درجة / ٣٣ / الشائعة في اقطار العالم ثم عن الماسونية الملوكية او العقد الملوكي التي هي ارقى من الرمزية مشيدا الى تقديسها ما جاء في التوراة ثم عن الماسونية الكونية التي هي ارفعها جميعا ومحفلها في نيويورك يوجه المحافل جميعها ويدير الحركات الثورية ... الى ان يقول بان ارفع درجات الماسونية هي درجة رفيق وهو اللقب الذى يفتخر به البلاشفة اليوم وان البولشفيك يرددون قولهم : ((لا تستطيع قوة ان تغلبنا لاننا مستندون الى الماسونية الكونيـــة))

ويقيم المؤلف ــ وقد كان من جهابذة الماسونية ــ ادلة قاطعة على صلتها بالصهيونية (او باليهودية العالمية اذا توخينا التدقيق) ثم يعقد مقارنة دقيقة بين الرموز الموحدة بينهما نقتطف منها مايلــي :

١ــ يسمي الماسون الرمزيون والملكيون اسم المكان الذى يجتمعون فيه (هيكلا) ويرمزون بذلك الى هيكل سليمان الذى يرى فيه اليهود شعارهم القومي .

٢ــ يستعمل كلاهما (النور) رمزا للنور الذى كان يتجلى به موسى ورمزا لعمود النار الذى رافق اليهود بعد خروجهم من مصر .

٣ــ يعتبرون السيف رمزا ، اشارة الى السيف الذى كان يحمله اليهود دفاعا عن المدينة المقدسة عندما كانوا يبنون الهيكل والسور .

٤ــ الانوار السبعة تشيرالى عدد السنوات السبع التي اتم بها سليمان الهيكل . ويرى في اعلى كرسي رئيس المحفل نجما بخمس زوايا وفي وسطه حرف ( ) بنور خفي ، وهذه صورة من جهة الشرق يدعونها (الكوكب الساطع وكوكب الشرق الاعظم)) وهذا هو اسم هيكل سليمان نفسه .

٥ــ ان لقب الاستاذ الاعظم الذى يستعمله الماسونية هو لقب (هارامهام اليهودى المشهور الذى كتب التلمود .

ومهما يكن من امر ، فان ثمة اتفاق بين كتابات المحققين والوقائع التاريخية والخطة التي انتهجها اليهود في ادوار حياتهم على ان الفكرة الدينية التي تدعو الى اعادة مملكة سليمان المزعومة كانت اصيلة في نفوسهم ، وان من الحكماء اليهود الذين ورثوها فيما توارثوا من الكتب الدينية القديمة وان هؤلاء الحكماء كانوا يسايرون الظروف ويكتمون سرهم في الظروف السيئة ويجاهرون به حينما تسنح الفرصة ، بل ان بعضهم كان يحاول تنفيذ هذه الفكرة عن طريق الالهام الديني ، فظهر عدد من مدعي النبوة امثال شابيتاى زمي (في مدينة ازمير) ، باواسط القرن الثاني عشر ، وحاول ان يزحف بعدد كبير من يهود الاناضول والقوقاز والبلقان لاحتلال فلسطين الا انه اخفق في زحفه ومات في الطريق ، كما اخفقت في تلك الايام محاولات الصليبيين في احتلال الاراضي المقدسة .

وبقي حكماء صهيون يحاولون تأريث جذوة النعرة الدينية كلما خبا اوارها ويدعون اليهود سرا الى التمسك بفكرة العودة الى ارض الميعاد الى ان ظهر لليهود ملك في اوكرانيا كان يسيطر على شعب من الخزر يزيد عدد افراده على ١٠ ملايين فاعتنق هو وشعبه اليهودية وشعر حكماء صهيون اذ ذاك بالانتعاش والامل فتقاطروا صوب هذه المملكة التي اطلق عليها ملكها اسم مملكة يوسف بن سليمان ، وكان يوسف هذا زعيما على قبائل الخزر التي تقيم في شبه جزيرة القرم واطراف جبال

القوقاز وماحول اوديسا ، وله مستشار يهودي اثير عنده اسمه ابن العبري (٥ وعلمائهم — اندلسي عرف باسم عزرا) فاتفق ان احتدم جدل بين المستشار وعالمين مسلم ونصراني — اقامت المراجع العبرية اسميهما — استيقظ يوسف ... بايام حالما بان سليمان عليه السلام قد تبناه وطلب منه ان يعتنق الدين اليهودي ... ابناء قومه وان يسعى لاسترداد ... ابيه الجديد (سليمان) ، وبذلك اصبح هذا الزعيم ... نفسه وريثا للعرش فارغم شعبه على اعتناق الدين اليهودي ، واستدعى عددا كبيرا من حكماء اليهود الذين فرحوا بهذه المناسبة وجاءوا من معظم انحاء العالم ينشرون دينهم بين أفراد الشعب الخزري — ((ويذهب بعض المتتبعين الى ان اول مؤتمر لحكماء صهيون عقد في مملكة يالطا عاصمة مملكة الخزر لانهم كانوا يعلمون ان الخزر انما ينحدرون من اصل تتري وان التتر قد يطروا على العالم قبل ذلك ببضع قرون في زحفهم الهائل الذي اجتاح اقطارا اوروبا وآسيا خلال مدة قصيرة ، وكانوا يطمعون في اعادة الكرة)) — الا ان قياصرة موسكو ، وقد استشعروا بخطر مملكة اليهود على المسيحية ، جردوا عليها حملات استمرت ٢٥ سنة انتهت الى تقويض دعائمها وقتل ملكها يوسف في مدينة يالطا عاصمة جزيرة القرم ، فلم ييأس حكماء صهيون او (احبار صهيون ، حسب التعبير الدارج — قديما) وواصلوا الجهد الى ان اتيح لهم عقد اول مؤتمر صهيوني عالمي معاصر لهم الحكماء في بطرسبورغ (لينينغراد) سنة ١٨٧٠ فسبق مؤتمر بال الذي تزعمه هرتزل ، والمعروف ان مؤتمر بطرسبورغ تبنى الخطط المرسومة في مؤتمر يالطا ...

والراجح عندي هو ان الصهيونية قديمة جدا ولكنها تطورت مع الزمن حتى تبلورت اخيرا الى فكرة الوطن القومي وانتقاء فلسطين ، بالتالي ، لاقامته ، ولعل في التفاعلات التي طرأت عليها والاضطراب الذي لازم تركيز اهدافها حتى في مؤتمر بال وبعده اصدق ... على ذلك .

ب — كيد اليهود للنبيين وللناس جميعا

يبدو ان اليهودية عريقة في الكيد والاجرام ممعنة ، منذ القدم ، في الاثم والعدوان تستحل لتحقيق غاياتها ماتنكره المسيحية السمحاء ويأباه الاسلام دين الاخاء ، وان اخلاق اليهود هذه نتيجة طبيعية لماضيهم البعيد والقريب ، فلما دعاهم موسى عليه السلام للقتال اجابوه : ((اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون)) واذا كان تمردهم يعلل في الماضي بضعف عقيدتهم وحداثة عهدهم بالتوحيد فان شذوذهم فيما بعد عن البشرية جمعاء يعلل بانطوائهم على انفسهم على مدى الاحقاب ودخول التحريف الى كتبهم المقدسة بما يوائم هوى حكمائهم الذي كان يميل مع الظروف والملابسات المحيطة بهم ، فيهود العصر ان لم يكونوا مسوخا لاجدادهم السالفين فانهم مظهر من مظاهر التصعيد لليهود القدامى ولكنه تصعيد ممسوخ على كل حال لان تفاعلاتهم مع المجتمعات البشرية كانت محدودة بفضل تعاليم دينهم المغلق والانعزال المستبد بهم .

ويحدثنا الاستاذ محمد عبد الله عنان (ص ١٤ — تاريخ المؤامرات السرية — طبعة ١٩٢٦ بمايلـــــي :

((وفي بني اسرائيل تبدأ المؤامرة منذ عهد الملوكية الاولى ، فان داوود لم يظفر بانتزاع الملك من يد شاؤول الا بالمؤامرة وقد آزره في تدبيرها النبي صموئيل ، ذلك لان رجال الدين لم يترفعوا في عصر من العصور عن الاشتراك في هذه المشروعات السرية خصوصا لما كانوا يزعمونه من الاتصال بالسماء ومخاطبة الله واستماعه لدعائهم . ثم نرى متآمرا آخر هو ابشالوم ولد داود ينزع داود من عرشه حينا ثم يفر امامه نادما مستغفرا)) .

وقد عانى انبياؤهم منهم كثيرا من الشطط ، فلاعجب بعد ان يلقى عيسى عليه السلام من عنتهم وغدرهم مالقيه طالما ان التلمود ينص في الصفحتين ١٤ ، ١٥ على انه :

((اذا قال نبي اتاني وحي من احد الكواكب او من احد الاصنام يامرني بعبادته يقتل ، وكذلك اذا ادعى ان الله اوحى اليه بمثل هذه العبادة ، وفي هاتين الدعوتين لا يسمح لمدعي النبوة برهان ولا تطلب منه آية . واذا جاء نبي وادعى بنزول الوحي عليه من الله وصدق على التوراة ولكنه اضاف اليه وصية جديدة زعم نزولها عليه بالوحي او امر بابطال احد احكام التوراة يقتل ، واذا جاء نبي واقر على مافي التوراة وسلك بموجب اوامرها ونواهيها تطلب منه الايات المثبتة لكرامته ومتى ثبت عدّ نبيا والا حكم عليه بالقتل والجنون)) .

اما السيد المسيح فقد قال ((اتيت لاكمل لا لانقض)) فانه اذن اراد ان يضيف على ماورد في التوراة ، ولهذا طلب اليهود محاكمته لانه يفسد تعاليم موسى وقبلوا (بان يكون دمه عليهم وعلى اولادهم) ، واما محمد عليه السلام فقد صدق على رسالة عيسى فكانهما قد اضافا على التوراة وصية جديدة ولعل هذا من جملة الاسباب التي جعلتهم يتربصون الفرص بخاتم الانبياء والرسل ، وقد حدث انه عليه السلام ذهب الى محلة بني النضير من اليهود قرب قباء للتحدث معهم وكان معه عشرة من كبار المسلمين بينهم ابوبكر وعمر رضي الله عنهما . فلما ذكر عليه السلام لليهود ماجاء فيه اظهروا الغبطة وحسن الاستعداد لاجابته . ثم خلا بعضهم الى بعض يأتمرون به ليقتلوه وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه . وكان الرسول قد جلس الى جنب جدار من بيوتهم فتقالوا هل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمر بن جحاش اليهودي انا لذلك ، ثم صعد ليلقي الحجر على رسول الله ولكن الله الذي عصم نبيه من الناس اوحى اليه بما ائتمر به اليهود . فخف من مكانه وعاد الى المدينة . ثم تبعه من كان معه . وهناك قص عليه السلام على اصحابه ما اعتزمه اليهود من قتله والغدر به؟ . ثم بعث محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقال لــــه .

((اذهب الى يهود بني النضير وقل لهم ان رسول الله ارسلني اليكم ان اخرجوا مـــن بلادي لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي . لقد اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقــــه)) .

وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها اهديت للنبي عليه السلام شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين اخبره الذراع انها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال محمد لاصحابه ارفعوا ايديكم ثم قال : اجمعوا الي من كان هنا من اليهود فجمعوا له • فقال لهم رسول الله هل انتم صادقوني عن شيء ان سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم • قال : هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا : نعم قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك ، وان كنت نبيا لم يضرك •

ان فكرة فوز اليهود على امم الارض جميعا كانت وما زالت تتقد في صدور بني اسرائيل وهي تتخذ في عصرنا نوعا من العقيدة المقدسة حتى في اذهان المتنورين والاحرار من مفكريهم وقد يأتي بعض السائمين من دعاة هذه العقيدة بما احرزته فكرة الوطن القومي اليهودي من ظفر ، وبما استطاعت الصهيونية ان تفعل في فلسطين من دعائم هذا الوطن ، فيصورونها اول خطوة في سبيل تحقيق الغاية الكبرى • والحقيقة ، ان كتبهم المقدسة تأمرهم بركوب هذا المركب الخشن في الحياة وتزين لهم — بما فيها من تحريف واختلاق — ان يسلكوا ابشع الطرق واخسها لنشر الفتن والدسائس وهم لا يتورعون من التدين باديان اخرى يكفرون بها بغية اشاعة الاضطراب في مفاهيمها وتذبذب المؤمنين بها فيها • وقد روى صاحب السيرة الحلبية ان من اليهود من دخل في الاسلام تقية اما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه وكان هواهم مع اليهود بالسر •

فاستطاع هؤلاء المدعون للاسلام من اليهود ان يجلسوا بين المسلمين مظهرين التقوى والصلاح ثم اخذوا يدسون الشكوك والريب بالقاء الاسئلة على الرسول عليه السلام ليزعزعوا عقيدة المسلمين ... ويشككوهم في رسالته التي يدعو اليها !

كما ألمع المجاهد العربي الاستاذ فخري البارودي في مذكراته الى فئة الـ ((دونمة)) اي المرتدين ، ويقول في تعريفها : ((دونمة ، اسم يطلقه الاتراك على جماعة اليهود الذين هاجروا الى تركيا من اسبانيا واستوطنوا سلانيك وهم طائفة يتظاهرون بانتسابهم بالاسلام مع احتفاظهم باطنا بالدين اليهودي ، ومنهم جاويد بك وبعض كبار رجال الاتحاد والترقي)) • وسنأتي على اثر دور هذه الفئة في الانقلاب على السلطان عبد الحميد •

(وقد حدثني الدكتور انيس شمراني حامل الدكتوراه في الحقوق من جامعة بيروت اليسوعية بدرجة شرف ، واطروحته حول الصهيونية ، ان ذا علاقة كبير في بيروت وثيقة مخطوطة يوصي فيها الحاخام الاكبر ابناء ملته بان يتظاهروا باعتناق النصرانية وان يتدرجوا الى ارقى المناصب الكنيسة حتى اذا بلغوا ذروتها ونفوذهم الاوج عمدوا الى تهديم الكنيسة انتقاما وتشفيا لما لاقاه اليهود من اضطهاد النصارى) ، وارجو ان يتاح لي الحصول على هذه الوثيقة ونشرها — ان صح انها بهذه الصيغة — ليرى مؤيدوا الصهيونية من الساسة المسيحيين ما تنطوي عليه نفوس من يؤيدون •

هذا بالنسبة للانبياء والاديان فما بالك بنظرهم ومعاملتهم للاشخاص ؟ ! لعل في ايراد فقرات من كتبهم المقدسة كفـــاء وغنـــاء :

آ — نحن شعب الله في الارض ولاجل رحمته ورضاه عنا ، سخر لنا الحيوان الانساني ، ولو (كل الامم والاجناس) سخرهم لنا لانه يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان : نوع اعجم كالدواب

والانعام والطير ، غير ناطقين كسائر الامم من ... الشرق والغرب ، لذلك يجب ... بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وان ندخل ابناءنا في الديانات المختلفة ... الكلمة العليا في الدول واعمالها ، فنفتنهم ونوقعهم في الحروب وندخل عليهم الخوف ... ذلك كله ... ونستفيد نحن الفائدة كلها ...

ب — يباح لاسرائيل اغتصاب ای مال كان من الجوييم (غير اليهود) وان اموالهم تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهودى ان يمتلكه ٠

ج — ان اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر ابيه ٠ ومن يصفع اليهودى كمن يصفع الله ولولا اليهود لارتفعت البركة من الارض ، واحتجبت الشمس وانقطع المطر ٠

د — التلمود وجد قبل الخليقة ولولاه لزال الكون ، من يخالف حرفا منه يموت ٠ من يحتقر حاخاما اويناقشه اويتذمر منه يناقش العزة الالهية ٠

اما وسائلهم فقد انحطت الى آخر درك من الخسة والضعة ، ففي الفصل الاول من العدد العاشر من التوراة (سفراستر) قصة ممتعة عن استير والملك احشويروش ، وكيف سخرت ... مرد خاى للانتقام من هامان الوزير الذى اراد البطش باليهود ٠

واطرف من ذلك وثيقة كانت موضوع دعوى حسم فيها المستر كوبلاند بحضور القاضي ... و (جاويش) انكليزى ضد ابا ... ماير ورفقاه ، فقد ورد في الوثيقة النص الآتي :

((ليس من بأس بان نلهو بالفتيات في سبيل ... القومي ، وان تكن هذه ... مستنكرة مادامت كفيلة بان نحصل لاحسن النتائج ، وماذا عسى ان نفعل مع ... البنات وتهافت عليهن وينقاد لهن)) ٠ وقد حكم ... ابيماير ورفاقه باحكام مختلفة لانتمائهم ... في جمعية غير مشروعة غايتها التآمر للقيام باعمال ترويج الفساد ٠٠٠

وجاء على لسان اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون (تعريب محمد خليفة التونسي) :

((ان بيدنا اعظم قوة عصرية ... الذهب ، وبوسعنا ان نخرج من صناديقنا كل مايلزم من المال في مدة لاتتجاوز الـ ٤٨ ساعة نفعل بعد ذلك من حاجة لان اؤكد لكم بان سلالتنا مختارة من الله)) ٠

والحقيقة ان المال كان ومايزال مركز الثقل في الحركة اليهودية ، خصوصا ... الضمائر بواسطته اكثر من ان تحصى ، وتجربتهم رشوة السلطان عبد الحميد امر معروف ... لتفصيلاته في الفصل الرابع — والادوار التي لعبها شاريت وغيره في ابتياع اصوات الدول ... يوم نظرت قضية فلسطين في هيأة الامم المتحدة ، اصبحت على كل شفة ولسان ، وقد ... محمد ظفرالله خان وزير خارجية الباكستان بقوله :

انتهى التصويت في اجتماع اللجنة وتلته المداولات في الجمعية العامة واستطعنا اثناءها ان نقنع عددا من المندوبين بوجهة نظرنا ، فناصرونا وكان عددهم ستة عشر مندوبا ، وكان مندوب سيام يعارض التقسيم ايضا الا انه لما اعلنت الثورة في بلاده تغيب عن حضور الاجتماعات فقصدته شخصيا واخبرته بان حكومته لازالت قائمة وان ... تستحسن تفويضه ، ولذا فهو لايزال يمثلها في هيئة الامم المتحدة فاقتنع بما قلت واستأنف ... ، غير ان ماكاد يحضر اجتماع الجمعية العامة حتى

تسلم برقية من الرئيس يسحب بغيـــــــــــا اعتمـــــاده . ولا نعلم فيما اذا كانت البرقيــــة وردت من حكومة سيام فعلا ام من مصدر آخر مجهول)) .

ونوه بذلك ايضا الفريد ليلينتال في كتابه (ثم اسرائيل) بقوله : وفي مأدبة غداء اقيمت في ١/١٢/١٩٤٧ قال روبرت لنفيت سكرتير نظارة الخارجية بصراحة مانصه بالحرف الواحد : انني ماتعرضت في حياتي ابدا الى مثل الضغط والاغراء اللذين تعرضت لهما خلال الثلاثة ايام التي سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية)) واضاف ليلينتال : ((اما المهزلة الاخرى ... فهي التي مثلت لكسب الفيليبين الى جانب التقسيم ...))

خاتمة الفصل :

ان تاريخ اليهودية حافل بالوان الكيد والدس والتآمر ، والصهيونية التي تعتبر عنها امر منها وادهى ، فقد ورثت فيما ورثته الخبث والدهاء وتسخير كل قوة او وسيلة لتحقيق غايات اهـ والصهيونيون الى ذلك كله ضغط الرقاب والاكباد ، قضوا الاجيال في اضطهاد دائم (جزاء ما جنت ايديهم) حتى امتلأت قلوبهم حقدا وضغينة وقد تعلموا اساليب مضطهديهم في القسوة ، زاد وا عليها ماتمليه عليهم تعاليم التلمود الخاصة . فاصبحوا لا يستشعرون في تحقيق مطامعهم شفقة ولا رحمة .

× × × ×

الفصل الثالث

قصة اضطهاد اليهود — اسبابه ونتائجه

لا يمكننا دراسة تاريخ اليهود الحديث ، دون الوقوف عند الظاهرة التي حيرت العالم قرابة عشرين قرن ، وهي قدرة الشعب اليهودي على الاحتفاظ بشخصيته بالرغم من القرون الطويلة التي تعرض فيها الى الحضارة المسيحية . وهذه الظاهرة تفسر جزئيا بان اليهودية ليست ديانة ، ولا قضية عنصرية ، حتى ولا مجرد قضية قومية . انما هي بالاحرى هذه الامور الثلاثة مجتمعة . انها نوع من الثالوث . وخير وصف لليهودية انها قومية شيدت على عمودين توأمين من العنصر والدين

ويتعلق هذا كله تعلقا وثيقا بناحية اخرى من اليهودية الا وهي خرافة الاضطهاد . فمنذ ظهور اليهود في التاريخ وهم ينشرون الفكرة القائلة انهم شعب محتقر مضطهد ، وقد كانت هذه الفكرة وماتزال نقطة الارتكاز في التفكير اليهودي وكان ادعاء الاضطهاد هو الذي يحفظ كيان اليهودية مرصوص البنيان . فلولاه لانقرض الشعب اليهودي منذ زمن بعيد ، ولانقرضت معه بالتالي قوميته العنصرية — الدينيـــــة .

واليهود لا يتفقون عادة فيما بينهم ، ولا يتبلور تفكيرهم في الاجماع على امر الا تجاه اعدائهم — الحقيقيين منهم او الوهميين . — وهم من هذه الناحية لا يختلفون كثيرا من سائر الشعوب ففي خلال تاريخ الشعب اليهودي وتفكيره كانت لازمة الاضطهاد تقرع الآذان باصرار مستمر ملح . ولهذا ترى اليهود يسجلون كل بلية اصابتهم مهما كان سببها ويعظمونها ، ثم يحولونها الى الاجيال —

المتعاقبة مثالا جديدا على قسوة الاميين على الشعب المختار • والحقيقة الثابتة هي ان مقاومة مطامع اليهود ومطامعهم تفسر على انها اضطهاد مرير •

الواقع ان الشعب اليهودي قد عانى الكثير في تاريخه ، ولكن هذا يصدق كذلك على سائر الشعوب • اما الفارق الرئيسي فهو ان اليهود احتفظوا بسجل دونوا فيه كل شيء ، وجعلوا من دعوى الاضطهاد تقليدا • فتراهم لايكتفون بتعداد ويلاتهم ومصائبهم لأنفسهم فحسب ، بل للعالم ـ شفوق عطوف ••• ليستدروا عطفه ويحظوا بمساعدته للاستقلال •

اليهـــــود في اوروبا

بدأ تسلل اليهود الى اوروبا قبيل العصر الميلادي ، وخاصة الى اليونان • فانتشروا في مختلف ارجاء الامبراطورية الرومانية واوروبا نفسها • وقد بدأ التجار والصناع وتجار الرقيق من اليهود يظهرون على المسرح الروماني بكثرة بعد القرن الثاني للميلاد • واخذ مركزهم في العالم الروماني يزداد اهمية حتى عندما كانت الامبراطورية مسوقة الى الدمار • وقد جاء في " الموسوعة اليهودية " لفونك وغنال ان اليهود كانوا في عهد جوستنيان ((يتمتعون بالحرية الدينية التامة)) • وعزا بعض المؤرخين ، وخاصة غيبون في تاريخه ((انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها)) سقوط روما الى نفوذ اليهود المفسد • وكانت بوبيا ، زوجة نيرون ، يهودية مرتـــــــدة •

وبينما كانت روما تتداعى وبينما كانت ظلمة القرون الوسطى تكتنف الحضارة الغربية (بين عـــــام ٥٠٠ و ١٣٠٠ للميلاد) نجد اليهودي يسيطر على ماتبقى من التجارة الرومانيـــة • وقد ورد في ((الموسوعة البريطانية)) في هذا الصدد : ((كان له ميل لامحيد عنه الى التخصص في التجارة التي تؤهله لها حذاقته وفطنته وتشتته)) •

وماعتمت السيطرة اليهودية ان اصبحت تتحكم في التجارة الاوروبية عامة فامست احتكـــارا يهوديا • ولم تتنفس اوروبا الصعداء الاحينما طرد اليهود منها في القرن الذي بدأ عصر النهضة مباشرة •

وفي العام ١٢١٥ قصمت الكنيسة الكاثوليكية في مجمع لاتيرين الرابع ظهر اليهودية الاوروبية بطائفة من القيود كانت الغاية منها كبح جماح احتكارهم التجاري • وقد حتمت هذه القرارات على اليهود الاقامة في احيائهم الخاصة ، وحرمت عليهم تحريما باتا استخدام النصارى ، كما حرمت عليهم الاشتغال باكثر من نوع واحد من انواع التجارة • ولكنه لم ينه المشكلة اليهودية • فكانت انكلترا اول من خطا هذه الخطوة ، فنفتهم سنة ١٢٩٠ • ثم سنة (١٣٠٦) حذت فرنسا حذوها • وقد نسج على منوالهما فيما بعد سائر الدول الاوروبية • •

اما الحالة في اسبانيا فجديرة بالاهتمام ، على حد تعبير ((الموسوعة البريطانية)) : ((•• كان القرن الرابع عشر عصر اليهود الذهبي في تاريخهم الاسباني • ففي العام ١٣٩١ اسفرت تعاليم ... من اشبيلية يدعى فرناند و مارتينيز عن اول مذبحة يهودية لان اليهود كانوا يحسدون على ازدهارهم ويكرهون بسبب انهم جباة الضرائب للملك •)) وبعد ان فرغ الملك فرديناند والملكة ايزابيلا من توحيد اسبانيا ، وتم لهما طرد المغاربة صرفا جل اهتمامهما الى المشكلة اليهودية فكانت النتيجة ان طارد

اليهود نهائياً عـــــام ١٤٩٢

جشع اليهـــــود

ذكر الكثير عن ((اضطهاد)) اليهود في اوروبا وغيرها ، ولقد تم لليهود اقناع العالم ان هذه الارزاء قد انزلت بشعب بريء . غير ان اليهود الاسبانيين الاغنياء الذين رأيناهم يطردون من اسبانيا سنة ١٤٩٢ لم يكونوا مستترين اذلاء . بل على العكس كانوا اناساً موسرين محظوظين ، مستثمرين وكذلك كانوا في البرتغال اما في انكلترا فقد دخل اليهود هذه البلاد عقب الغزو النورماندي ، وسرعان ماحصلوا على الثروة وعرفوا الازدهار . وقد ورد في ((موسوعة فالنتاين اليهودية)) ((... وازداد عددهم واطرد ازدهارهم ، واصبح هارون اوف لنكولن اغنى رجل في انكلترا آنذاك ..)) ولدى وفاته تحولت ثروته الى التاج البريطاني ، فانشىء فرع خاص في الخزانة العامة للاهتمام بها)) . ومع ذلك فان ادوار الاول اضطر تجاه هذه الاقلية الغريبة التي بدا انها في طريقها الى جمع ثروة المملكة لان يطردهم نهائيا سنة ١٢٩٠ . ولم يسمح لاي يهودي بالعودة قبل ١٦٥٥ . فاوجدت بريطانيا بهذا سابقة لطرد اليهود ، فيما بعد ، من سائر انحاء القارة الاوروبية .

وكان اليهود في فرنسا مسيطرين في حقلي التجارة والمال قبل شارلمان . وفي عهد الملك فيليب الجميل (١٢٨٥ ـ ١٣١٤) ، اصبحت فرنسا اقوى دولة في اوروبا . وقد دفعته حاجته الى المال الى الاستيلاء على ثروة اليهود وطردهم من بلاده ، سنة ١٣٠٦ . وقد سمح فيما بعد لنفرقليل منهم بالعودة ولكنهم طردوا ثانية عام ١٣٩٤ .

وفيما يلي حوادث طرد اليهود المتعاقبة بعد اخراجهم من انكلتره وفرنسا :

سكسونيا : طردوا سنة ١٣٤٩ .

المجر : سنة ١٠٩٢ كان اليهود يسيطرون على جباية الضرائب في المجر . وفي سنة ١٣٦٠ طردوا ، ولكنهم مالبثوا ان عادوا فيما بعد . وفي سنة ١٥٨٢ طردوا مجدداً من القسم المسيحي من المجر .

بلجيكا : طردوا عام ١٣٧٠ . وقد استقر البعض فيها سنة ١٤٥٠ ولكنهم لم يستوطنوها الا سنـــــة ١٧٠٠ .

سلوفاكيا : شردوا من براغ سنة ١٣٨٠ . وكثيرون عادوا فاستوطنوها سنة ١٥٦٢ . وفي ١٧٤٤ طردتهم الامبراطورة ماريا تيريزا من بلادها .

النمسا : طردوا سنة ١٤٢٠ على يد الملك البريخت الخامس .

هولندا : طردوا من اوتريخت عام ١٤٤٤ .

اسبانيا / : طردوا في ١٤٩٢ .

لتوانيا : طردهم عام ١٤٩٥ الفراندوق الكسندر . ولكنهم عادوا اليها فيما بعد .

البرتغال : طردوا سنة ١٤٩٨ .

روسيا : طردوا سنة ١٥١٠

ايطاليا : طردوا من مملكة نابولي وسردينيا سنة ١٥٤٠ .

بافاريا : نفوا الى الابد سنة ١٥٥١

ولم يسمح لليهود بدخول اسوج حتى عام ١٧٨٢ . ولم يسمح لاحد منهم بدخول الدانمارك قبل القرن السابع عشر ، ولم يقبلوا في نروج بعد سنة ١٨١٤ . اما اليوم فان عدد اليهود الذين يقيمون في البلدان السكندينافية ضئيل جدا يكاد لا يذكر .

اليهود في الشرق

وعاشت اوروبا فترة من الزمن حرة من اليهود الذين لم يعودوا اليها بكثرة الا سنة ١٦٥٠ . وقد جاء في الموسوعة البريطانية : ((ان السواد الاعظم من الشعب اليهودي كان موجودا آنئذ في الشرق ، في الامبراطورية البولونية والتركية ... اما الجاليات القليلة التي بقيت في اوروبا الغربية فقد تعرضت اخيرا لمختلف القيود التي خلقتها العصور السابقة مثالا ، حتى ليمكن القول الى حد ما — ان العصور اليهودية المظلمة تبدأ ببداية عصر النهضة .

بعد ذهاب اليهود

ان الفترة التي تميزت بطرد اليهود (١٣٠٠ الى ١٦٥٠) تتميز ايضا بانها عصر النهضة الذي بزغت شمسه على اوروبا بعد ذهاب اليهود . وقد بدأ اول ما بدأ في مدن شمالي ايطاليا التجارية حوالي العام ١٣٠٠ ، فما ان بلغ هذا العصر نهايته حوالي ١٦٥٠ حتى كانت اوروبا بالنسبة الى وضعها السابق قد تنورت وتحضرت . وليس بنافلة ان ذلك كله لم يكن ليحدث لو لم تنتعش الحركة التجارية ولم يحدث هذا الانبعاث في الحضارة الغربية الا بعد ان انتزعت الامم الاوروبية السيادة التجارية من ((الغيتو)) .

وفيما يلي وصف اصل ((الغيتو)) كما تورده ((موسوعة فالنتاين اليهودية)) : منذ ما يكن من امر فقد اصبحت هذه الكلمة تطلق عموما على الحي اليهودي . ففي التاريخ القديم كان اليهود يحتلون طوعا وبملء حريتهم ، احياء خاصة . وقد وجدت الاحياء والشوارع اليهودية (ابتداء من اواخر القرن الحادي عشر) . ولم يكن الدافع الى تكتلهم دينيا او اجتماعيا كما كان فيما مضى ، بل ان التجارة هي التي حملتهم على الاقامة بالقرب من الاسواق ... ولم يتحول الحي اليهودي الى ((غيتو)) اجباري الا في القرن الثالث عشر ... ومع ان حصر اليهود في ((الغيتو)) لم يكن مقصودا ، فقد كان له بالنسبة اليهم افضل النتائج ، اذ حفظ الشعور الجماعي والثقافة اليهودية التقليدية .

والواقع ان جماعات ((الغيتو)) لم توجد الا لان اليهود ارادوا ذلك ، وهي تمثل رغبة الشعب اليهودي في بقائه بعيدا عن المجتمع المسيحي ومستقلا عنه . وقد جاء في (موسوعة فالنتاين اليهودية) ((وكان هناك ، على الغالب ، سلطات معترف بها رسميا بين المجتمعات اليهودية في اوروبا في القرون الوسطى لتنظيم شؤونهم الخاصة ، وللاتصال بالحكومة المدنية كهيئة موحدة .. وكانت لهم محاكم خاصة بسبب انه كان ينتظر من المدعين اليهود ان يطيعوا قانون التلمود المدني .))

فلم يكن الغيتو محل اقامة فحسب ، بل كان مجتمعا مستقلا ضمن المجتمع العام ، وفيه غذى اليهود حقدهم القديم على الحضارة المسيحية (الموسوعة صفحة ٥٩ مجلد ١٣) .

نتـــائجه :

وقبل حوادث الطرد الكبرى بعشرة قرون ، وفي كل دولة مسيحية في اوروبا تقريبا (وفي اسبانيا وافريقيا وآسيا الصغرى الاسلامية) اقام هؤلاء اليهود في (الغيتو) حيث غذوا ثقافة تختلف كثيرا عن الثقافة الاوروبية وحافظوا عليها . فلما طردوا من غربي اوروبا قبيل عصر النهضة انشأوا بدورهم احياء خاصة (غيتو) في بولونيا وروسيا .

ان (غيتو) العصور الوسطى لم يختف بنهاية هذه العصور المظلمة ، بل انتقل من اوروبا الغربية الى شرقي اوروبـــــا حيث استقرت اغلبية يهود العالم .

وقد مكن انشاء (الغيتو) ثقافتين مختلفتين اصلا من ان تقيما جنبا الى جنب ، في شعبين متوازيين دون ان تتمثل احداهما الاخرى . ثقافة آسيوية وشعب يهودي ، وثقافة اوروبية وشعب مسيحي . وذلك هو السبب الرئيسي في بقاء اليهودي غريبا بالرغم من تعرضه على مدى القرون للحضارة المسيحية .

فبقي اليهودي الاسباني يهوديا في الدرجة الاولى ، ثم اسبانيا ، كما بقي اليهودي البولوني ، واليهودي الروسي ، واليهودي الالماني يهودا يخلصون ليهودا قبل اخلاصهم للبلدان التي تأويهم .

ان اليهودي الحديث بثقافته اليهودية وتقاليده المالية الشرهة ينبغي الا يخلط بينه وبين يهود التوراة الذين كانوا رعاة في الغالب . فاليهودي العالمي في عصرنا الحديث هو التابع الفاسد للماضي الفاسد . فهو لا يؤمن حقيقة بالتوراة ، بل بالتلمود ، وهو لا يتكلم العبرية بل اليهودية ((الدارجة)) وهو ليس من نسل اسرائيل بل من حثالة شرقي البحر المتوسط .

وقد صور ذلك اروع تصوير هـ . جـ . ويلز في مؤلفه الضخم ((خلاصة التاريخ)) : ((ان الفكرة اليهودية كانت وماتزال مزيجا غريبا من التسامح الديني والقومية والعنصرية الحنيفة ... يتحدث اليهود عن مخلص خاص ، مسيح ، ليصلح بني البشر باعادة امجاد داود وسليمان الخرافية ، ليحكم العالم في النهاية تحت نير اليهود الكريم ، الوطيد في آن معا ومن جراء هذا الامتزاج تحولت الجماعات اليهودية في التجارة وازدهرت في كل مدينة من مدن الامبراطورية الرومانية ، وامتدت انما الى اقاصي الشرق ، وبقيت على اتصال بعضها ببعض بواسطة التوراة ، وبواسطة منظمة دينية وتربوية (ربما الماسونية) . فالقسم الاكبر من اليهود لم ينحدر مطلقا من سكان منطقة اليهودية (في فلسطين) ، ولم يخرج منها على الاطلاق .))

الخزريون وبولونيـــــا :

تحدثنا في الفصل الثاني عن مملكة اليهود الخزرية ، وعــــن تحطيمهـــــــا وتشتت سكانهـــــا ...

لقد استوطن بعض الخزريين (بالقرن ١٠) الاراضي التي اصبحت فيما بعد (بولونيا) وتوجه آخرون الى غربي اوروبا واسبانيا ، وفي القرن ١٤ تجمع معظم اليهود في بولونيا بناء على دعوة الملك كازيمير الاول ومن ثم كان تاريخ بولونيا خلال القرون الثلاثة التالية يدور حول الصراع من اجل السيطرة بين السكان البولونيين الاصليين واليهود . وتقول كتب التاريخ اليهودية ان هذه من الذ

فترة مرت بالشعبين معا . اما اذا اتفق احيانا ان اصيب اليهود ببعض المصائب فان هذه الكتب نفسها ترفع عقيرتها بالشكوى من الظلم والقسوة والوحشية التي تعرض لها الشعب المختار . واما كان هذا النواح قد تكرر اعلانه جهارا ، فقد ساد الاعتقاد بان بولونيا كانت بلد البغي والجور بالنسبة الى اليهود ...

وكان من سوء طالع بولونيا ان تنكب ، في الشطر الاكبر من تاريخها ، بهذه القبيلة الهائلة من يهود العالم . وانما الى ذلك يرجع شلل بولونيا الهائل وعدم اتحادها مما ادى الى عجزها عن احتلال مكانها بين امم العالم الكبرى .

ففي عام ١٧٩٣ قسمت بولونيا بين بروسيا وروسيا ، وانتقى وجودها كاملة . وهكذا ورثت روسيا قضية يهودية أدت — على رأي بعض الباحثين — الى انهيار روسيا العنصرية وشيوع الفكرة السائدة بان اليهود عانوا قبل ذلك اضطهاد اوربا . على ان ماضي اليهود وحركاتهم هي التي اوجبت للحكومة موخرا عددا من القيود غايتها حماية اقتصاد روسيا وثقافتها من تهجم اليهود ، فاصدرت قرارا سنة ١٧٩١ يسمح لليهود بالاقامة في روسيا الكبرى ولكن في اماكن معينة محدودة .

وكان اليهود ، [illegible] ضمن هذه الحدود احرارا في ادارة شوؤنهم ولكن منعوا من [illegible] الى الخان هذه ((المستعمرة)) او الاقامة خارجها منعا باتا فقد تجمع في هذه المنطقة المتلاصقة القسم الاكبر من اليهود وبقوا زهاء قرن وربع من الزمن . وللمرة الاولى [illegible] اليهود بيئة مشتركة ، وحقل اختبار مشترك نشأ عنه يهودي القرن العشرين الذي يتكلم اللغة اليهودية الدارجة (يدية)

الكـــــاهال :

رأينا كيف اعتاد اليهود ، منذ قديم الازمنة ، ان يوسسوا (الغيتو) حيثما حلوا وان (((كاهال)) في لغتهم) ويحافظوا عليه داخل اطار في المجتمع المسيحي العام . ورأينا كيف حمل اليهودي المطرود من غربي اوروبا هذه العادة القديمة الى بولونيا ثم الى روسيا .

وفي بادئ الامر اعترفت الحكومة الامبراطورية بهذه المنظمات المستقلة المنبثقة عن الكاهال وسمحت لها بفرض الضرائب ، واقامة المحاكم بحيث لا يسري سلطانها الا على المدنيين اليهود . وكان هناك فضلا عن المنظمات المبعثرة ، منظمات اقليمية سمح لها ، بادئ ذي بدء ، بفرض الضرائب على المنظمات اليهودية الاخرى . ولكن معظم هذه الامتيازات الغي سنة ١٧٨٦ .

وبالرغم من ان دعاة اليهود لم يكفوا عن الشكوى والتهويل من ظلم الحكومة الامبراطورية [illegible] فالحقيقة الراهنة انهم ، حتى العام ١٨٨١ ، بلغوا من الازدهار والنجاح ما يفوق حد التصور .

فقد حل اليهود على الاقتصاد الروسي مثل اسراب الجراد . وفي عهد اسكندر [illegible] خففت بعض القيود عن الاقامة خارج احيائهم ، لا سيما بفئات الصناع والمهنيين . وقد بذل [illegible] جهد كبير لحمل اليهود على الاهتمام بالزراعة ، وقصدت الحكومة ، في كل مناسبة ، الى تشجيعهم على الامتزاج بالحياة الاهلية الروسية . غير ان نقولا الاول لم يكن ، كخلفه الاسكندر ، ميالا [illegible] الزائد [illegible]

اليهود واصر على تمثيلهم بالمجتمع الروسي ، فالزمهم بالجندية عام ١٨٢٧ والغى امتيازاتهم الا ان وزيرهم التقليدى عام ١٨٤٤ وكان التعليم الالزامي قد شملهم منذ سنة ١٨٠٤ مطبقة عليهم ثم واذا بهم في عام ١٨٨٠ العنصر المختار في البلاد . وهنا قامت المشكلة : بين ان تبقي الدولة على بعض القيود المفروضة على اليهود فتسد منافذ العدائهم وارتفاع عقيرتهم بالشكوى وبين ان تزيلها فتفسح لهم المجال بالسيطرة على مقدرات روسيا ، ولكن الحوادث حددت سلوك الحكومة اذ ان القيصر فقد حماسته للتحرر بعد محاولة اغتياله عام ١٨٦٦ ، دون ان يعادي اليهود ثم قتلهم عليهم بعد المحاولة الثانية . ولكن مؤامرة ثالثة حيكت خيوطها سنة ١٨٨١ في منزل اليهودية هيسيا هلفمان اودت بحياته وادت الى صراع عنيف بين القياصرة واليهود حتى قيام الثورة البلشفية .

خاتمة الفصل

عند ما شتت طيطس الروماني اليهود ايدى سبأ ان تقارب المدة بين ظهور المسيحية وتوجيه طيطس الروماني ضربته القاصمة الى اليهود وتشتيتهم ايدى سبأ اصابتهم للتمسك بدينهم ورابطة يوثقون بها عراهم المفككة واشعرتهم بالاعتزازية على انه اول شرعة تقول بالتوحيد ، وبرزت في نفوسهم غريزة الانتقام لما حل بهم ، فكان من جراء ذلك انهم منعوا دينهم — فترة من الزمن — عن الاقوام الاخرى وضنوا به عليها ، حتى مالت بهم الامور الى الغموض ، فلما انتشرت المسيحية وظهر الاسلام حاربوهما دفاعا عن دينهم وكيانهم ، واستتبع ذلك امران : الاول : تعمقهم في اليهودية وامعانهم في التقيد بتعاليمها ، والثاني : عدولهم عن خطتهم الاولى وجدهم في نشرها بين شعوب آسيا واوروبا وافريقيا بغية تعزيز مركزهم فيها . ولكنهم ظلوا الى ذلك ، محتفظين بفكرتهم السوداء وحقدهم على العالم القديم ، بيد ان الشعوب التي خلفت هذا العالم القديم لم ترث من اسلافها حقدا على اليهود . ولعل قيام الدينين الجديدين على التسامح هو الذى شجع اليهود على تأجيج جذوة العداء والانتقام من شعوب الارض كافة ، وتبلورت هذه العوامل جميعا في اعتبارهم العالم كله كفة ميزان واليهود في كفته الاخرى . وتأصلت هذه النزعة في نفوسهم حتى اصبحت مركبا نفسيا تتوارثه اجيالهم وانعكس بمظهرين احدهما الشعور بالاستعلاء وثانيهما الخوف من ان تنتقل الامم ضدهم ، وهكذا ، فان تعاملهم مع الحضارات القديمة والحديثة كان متأثرا بمركب النقص الذى يسيطر عليهم ونظرهم الى الامور كلها من خلاله فانعزلوا عن المجتمعات التي عايشوها وندوا اخيرا عن طريق الانسانية جمعاء ، وراحوا — بعد ان كشف امرهم — يستدرون عطف العالم لما لحقهم من اضطهاد ، بيد ان مبالغة اليهود في تصوير خطر العالم عليه هو الذى ادى الى المبالغة في تصوير خطرهم على العالم . فلا مندوحة اذن من صهر اليهودي وخلقه خلقا جديدا والقضاء عليه قضاء مبرما للخروج من هذه الحلقة المفرغة التي اوقع نفسه وغيره فيها .

× × × × × ×

الفصل الرابـــــع

× × × × ×

ادعـــــاءآت صهيونية و مؤآمـــــرة كبرى

يحدثنا الاستاذ بابيني الكاتب الايطالي المعروف في كتابه (غوك) الذي اصدره في عـام ١٩٣٢ ، يحدثنا على لسان يهودي اصطلح على تسميته ابن روبي ، قال الكاتب : ان ابن روبي ، ماهو السر ياترى في ان اليهود عادة اغنياء وجبناء معا ؟!

فأجاب : اما انهم جبناء من الوجهة الجسدية فهذا صحيح ، ولكنه ليس صحيحا من الوجهة الروحية ولقد كان اليهودي دائما حتى في عهد الملك داود يعتبر ان قيمة الرجل الحقيقي هي في استغلال ذكائه . فمنذ ان تشتت اليهود الى اليوم وهم يعيشون من غير دولة ولا حكومة ولا ... بل تراهم مبعثرين هنا وهناك فوق هذه الكرة الارضية بين اناس يكرهونهم ويبغضونهم فكيف تريدهم على ان تنمو في نفوسهم بطولة الصليبيين وغيرهم من الابطال ؟

الا انهم لكي يحافظوا على نسلهم من الانقراض اضطروا لأن يخلقوا وسائل للدفاع عن كيانهم فاستنبطوا وسيلتين هما المال والذكـــــاء . وهل هناك غير الحديد والذهب يدفع بهما الانسان ضد الانسان ؟ واذ كان اليهودي عاجزا عن استعمال الحديد ، رأى ان يلجأ الى استعمال الذهب للمحافظة على كيانه ، والذهب كما لا يخفى معدن يتوفر فيه الجمال والنبل اكثر منهما في الحديد فكان الفلورين رمحه والليرة سيفه والدولار مدفعه الرشاش ولا عجب ان يصبح اليهودي رأسماليا بدافع الضرورة للدفاع عن نفسه وان يسيطر بالمال على العالم ، ويساعده على بلوغ هذه السيادة انحطاط اوروبا الروحي والاخلاقي ، فقد ارغموه على ان يكون غنيا ثم اعلنوا ان الثروة هي فوق كل شيء ، وهكذا امسى فقير التوراة بفضل اعدائه سيد الفقراء والاغنياء معا .

وتعاقبت السنون فتحولت وسائل الدفاع التي استعملها اليهودي للمحافظة على كيانه في اول الامر ، الى وسائل انتقام ، وقد كان التجاؤه الى الذكاء في انتقاماته اكثر منه الى المـــــال وعندي ان الذكاء افضل من المال وابعد اثرا في النفوس .

وبعد ، هل كان في استطاعة اليهودي ان يفعل غير مافعل للانتقام من خصومه ، وهو الذي كانت تدوسه الاقدام وتبصق في وجهه الافواه ؟

لقد اراد ان يدمر كل ماهو قائم من مبادىء وعلوم ومثل عليا تقوم عليها النصرانية ، فاذا ما تعمقت قليلا في درس احوال العالم منذ قرن الى اليوم رأيت ان الذكاء اليهودي ينتأ يعمل بجد ونشاط على تدمير اعز ماعند العالم المسيحي خصوصا والبشري عموما من معتقدات ... باستثناء معتقداته — وهدم الاعمدة التي شيدت عليها بناية الفكر ، اجل انه ماكاد يحصل على حرية الكتابة حتى تداعت قصور المسيحية الروحية واصبحت عرضة للانهيار)) الى ان يقول ابن روبي واليك بعض الامثلة :

ــ كان المفكرون والفلاسفة يعتقدون ان الذكاء هو الوسيلة الوحيدة التي تمكن من الوصول الى الحقيقة التي هي غاية الانسان ، فجاء الفيلسوف اليهودي (برغسون) وقلب بتعاليله هذا المعتقد رأسا على عقب واثبت ان العقل يعجز عن ادراك الحقيقة .

ــ كان كل منا يعتقد انه انسان سالم من كل فساد وشذوذ ، فجاء اليهودي (فرويد) باحث الشهير في شؤون الجنس يقول : ان اكثرنا ضحية وتقوى يخفي في اعماق كيانه ر... تا ... را .

ــ ان نظريات (اميل دوركهايم) في علم الاجتماع كلها لصالح اليهود دون غيرهم ثم يختتم ابن روبي كلامه بقوله :

فانت ترى ان هؤلاء اليهود جميعا على اختلاف جنسياتهم وتباعد اوطانهم انما يسعون وراء غاية واحدة مشتركة هي ان ينقضوا الحقائق القائمة ويهدموا كل ما هو ثابت ويحتقروا كل ما هو محترم ، ويسفلوا كل ما هو عال ، ويفسدوا كل ما هو طاهر ، مقدس في مفاهيم البشر .

تلك هي طلائع الانتقام اليهودي الاعظم من اليونان واللاتين ومن النصارى ، فان اليونان قد سخروا من اليهود ، والرومان شتتوا شملهم ، والنصارى عذبوهم ونهبوهم ، فاليهود الذين لن يستطيعوا ان يثأروا لانفسهم بالقوة عمدوا اليوم الى شن هجوم عنيف على اركان المدينة التي خلقتها اثينا افلاطون وروما الاباطرة وعلى البابوات والكنيسة ، وان امتحانا على ... فنحن (اليهود) اسياد الاسواق المالية والفكرية في العالم ندبر حركتها على ما نشتهي ونريد . ــ واليهودي يجمع في شخصه النقيضين ، فهو المستبد في ميدان الماديات وهو الفوضوي في حقل ــ الفكر .

ان الشعب الذي اتهموه انه قدم الاله قربانا يريد اليوم ان يقضي على الدين : هما الذكاء والعاطفة ، وسيجعلكم تسجدون ، وجباهكم معفرة بالتراب ، امام الاله الجبار : المال)) .

هذا نموذج من الحقد اليهودي على البشرية ومثال على كيدهم لها ، فلنتصور الدرك الذي ستنحدر اليه البشرية اذا هي تحللت من تلك المفاهيم السامية التي تعتبر ، بنظر ... معطلة ــ لعبقريات الاجيال ، والتي يحمل اليهود ... دين على طعنها والتشكيك بها ، ... تلك الانانية البغيضة التي تنطوي عليها نفس اليهودي الجبان ، الذي ينزع الى السيطرة عن اخس الطرق وادناها ، عن طريق المال ، بينما ينزع التفكير البشري نحو الانسانية المثالية القائمة على ــ المحبة والسلام المتحررة من حدود الفرد بل من حدود الوطن والترهات .

واذا كان اليهود يتنكرون حتى على علمائهم وفلاسفتهم ويظهرونهم بمظهر المتآمرين على المثل الانسانية العليا ، العاملين على تقويض دعائم الحضارات المتوارثة ، فان التحقيق العلمي يتقاضانا ان ننصف هؤلاء العلماء اليهود انفسهم ، وان نحلهم المكانة اللائقة بهم ، ثقة منا بانهم ساهموا في انارة الفكر وتأريث مشعل الحضارة ولم يكونوا كلهم ادوات هدم وتخريب كما يزعم ابن ... جلدتهم .

نعم ، هناك روح يهودية عامة " هي اميل الى النزعة المادية جملة " وتاريخ الشعب اليهودي ... بالشواهد عليها ، وقد حمل على هذه الروح بشكل خاص ، كما نعلم ، فلاسفة النازية ، ورأس ... روزنبرغ في كتابه " اسطورة القرن العشرين "

واكن هذا لايعني ان كل ما اتى وما يأتي به مفكر من مفكري اليهود يكون موجها توجيها واحدا نحو خدمة الصهيونية وضد الديانة المسيحية والحضارة المسيحية ونحو تحطيم المثل العليا الانسانية .

آ — فكثير من الافكار التي نادى بها بعض مفكري اليهود ، والتي يمكن ان تعد في ... حملة على الحضارة المسيحية وعلى المثل العليا الروحية ، نادى بها ايضا قبلهم مفكرون من غير اليهود ، وهي بالتالي تطور طبيعي للافكار الانسانية ، وليست وليدة حملة يهودية مصطنعة مقصودة ، واذا استعرضنا تاريخ حياة بعض هؤلاء المفكرين اليهود ودرسنا العوامل التي كونت افكارهم هذه ، لوجدنا ان كل واحد منهم قد تأثر بطائفة من المطالعات والافكار التي اخذها عن غير اليهود ، وانه تتلمذ غالبا على مفكرين مسيحيين وغير مسيحيين . فبرغسون مثلا ، تأثر بالروح الالمانية جملة ، وهذه الروح ابعد ماتكون عن الصهيونية ، بل اشد ماتكون عداوة لها ، وقد اخذ هذا الفيلسوف الشيء الكثير من الفلسفة الالمانية كما تأثر من جهة اخرى بالروح الانكليزية ، تلك الروح التي تعني بالمشخص المحسوس ، ثم بالروح الاميركية البراجماتية التي تعني بالنجاح والمردود ، واثر الفيلسوف وليام جيمس ... الاميركي كبير جدا عليه ، حتى ان برغسون يسميه ((المعلم الاكبر ...))

وقد اخذ عنه افكارا كثيرة . وجيمس هذا فيلسوف مغرق في مسيحيته ، بل ينتسب الى فرقة المتطرفين المسيحية .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تأثر برغسون بعدد من المفكرين الفرنسيين ، وعلى رأسهم بوترو الذي عرف بتعصبه لمسيحيته ، فضلا عن تأثره الملحوظ بالاستاذ باسكال ، واكثر هذا كله ان برغسون تأثر هو نفسه بالافكار المسيحية ذاتها ، — تأثرها في نظرته الى الزمان " وهي جوهر فلسفته " — هذه النظرة التي استقاها من القديس اوغسطين ، وانعكس تأثره بها في حديثه عن الاخلاق والدين في كتابه الشهير الذي وضعه في اواخر حياته : ((منبعا الاخلاق والدين)) ، وانه يشيد بالمسيحية ويعتبرها الدين الحقيقي الذي يعبر عن نفس متفتحة (لاعن نفس مغلقة) كما هي عليه اليهودية . حتى ان تمجيده المسيحية اثار حفيظة اليهود عليه ورسخ الاعتقاد الذي ... اذ ذاك بانه اعتنق النصرانية سرا في اواخر ايام حياته .

اما قولة برغسون " بان العقل يعجز عن ادراك الحقيقة " وزعم الصهيونيين بان ... هذه ... مفاهيم الفلسفة القديمة رأسا على عقب ، فقد سبقه اليها كثير من المفكرين في جميع بقاع الارض ، وهو يقصد بالحقيقة " الحقيقة الميتافيزيائية المطلقة) ، وجميع المفكرين ، بمختلف العصور قرروا ان الوصول الى هذه الحقيقة بما وراء الطبيعة لايدركها الا طور فوق طور العقل ، على حد تعبير الفيلسوف محي الدين بن عربي . ومن الخطأ الفادح القول بان المفكرين والفلاسفة الذين سبقوا برغسون كانوا يعتقدون بان الذكاء هو الوسيلة الوحيدة التي تمكن من الوصول الى الحقيقة .

ب — ان الافكار التي بها (فرويد) نتيجة تطور طبيعي للفكر الانساني ، وليس فرويد هو اول من تحدث عن سيطرة الغرائز لدى الانسان ، والمسيحية نفسها ، على مانعلم ، لاتعتبر الانسان سالما من كل فساد وشذوذ ، وهي تعتبر المرء محملا منذ ولادته بالخطيئة الاولى خطيئة آدم التي تجعله مزودا

بالشر والغرائز الشريرة ، وتجعل من الواجب عليه مقاومة هذه الغرائز . ولم يعد فرويد ان قال حقيقـــــة الانسان ، وساهم في فهم وتعليل سلوكه فهما وتعليلا علميين . ودارسته موضوعية كما هو معلوم ، قبل كل شيء نحو علاج الامراض النفسية ، وقد استقى كثيرا ممن سبقوه في هذا المضمار وفي طليعتهم عالم النفس الفرنسي بيير جانيه ثم شاركو وبيرنهايم وغيرهم ... ومن المعروف انه طبق كثيرا من العقائد التي اكتشفها على اليهودية نفسها ، وكتابه : موسى شاهد على روحه العلمية المجردة التي دفعته الى طعن اقدس فكرة لدى اليهود . وقد يكون فرويد مغرقا في التفسير المادى لكل شيء ، ولكن هذه النزعة ، رغم اعترافنا بقوتها لدى اليهود ، فانها قد وجدت لدى غيرهم من المفكرين في جميع العصور .

ج – اما نظريات اميل دوركهايم ، فلم توضع لصالح اليهود ، انما وضعت قبل كل شيء بدافع الروح العلمية ، ثم بتأثير بعض الظروف السياسية التي كانت تحيط بحكومة فرنسا وقد اراد بها مسايرة السلطة القائمة . ونحن نعلم كيف ان دوركهايم يؤله المجتمع وكل شيء اجتماعي ، وانه يعتبر الاله هو الضمير المشترك مما يتناقض مع روح اليهودية .

واخيرا : ان هذه الافكار التي جاء بها امثال هؤلاء المفكرين ، نوقشت على كل حال ، كما نوقش غيرها ، ووجد من انتقض عليها ، فلو سلمنا جدلا بانها انتقام يهودى من الحضارة المسيحية ، فقد انتقضت عليها الحضارة المسيحية بدورها وانتقمت منها (ان كان لابد من ان نفسر الامور على انها صراع بين اليهودية والمسيحية) ، فافكار برغسون انتقدت كثيرا واصبحت عتيقة ولم تعد تغذي المنتصرة ، ومثلها آراء دوركهايم التي تجاوزها الباحثون اليوم في علم الاجتماع الحديث ولم تعد تغذي المعاصرة . فالمسألة اذن مسألة بحث علمي تكون فيه الغلبة لبعض النظريات حينا ، ثم تزول وتحل محلها نظريات اخرى ، وهذا اكبر دليل على ان القضية قضية تطور فكرى انساني .

– والا هذه الافكار والنظريات المختلفة التي يحاول ان يعدها بعض الباحثين انتقاما تنتقم به اليهودية على الحضارة المسيحية ، ليست كلها ذات اتجاه واحد ، بل ان بعضها يناقض البعض الاخر في كثير من الاحيان ، مما لا يجيز لنا ان نعتبرها معدة كلها لخدمة مصلحة واحدة هي مصلحة اليهودية – كما يزعم الصهيونيون – فافكار برغسون تناقض افكار دوركهايم ، وتحمل عليها في كثير من المواضع (فالاخلاق عند الاول قائمة على اساس مباين تماما للاساس الذى تقوم عليه عند الثاني) . وافكار فرويد تتعارض الوحد بعيد مع افكار برغسون وتتنافر خصوصا مع افكار دوركهايم ، وتفسير فرويد للحياة على طرفي نقيض مع تفسير دوركهايم .

– ثم ان كثيرا من المفكرين اليهود جاءوا بافكار ونظريات منبثقة من صلب الحضارة اليونانية والمسيحية والرومانية ، بل كان لهم فضل المساهمة في هذه الحضارة الحديثة القائمة والتي هي وليدة تلك الحضارات جميعها . بل ان الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية تحمل في نشأتها آثار من المفكرين اليهود . فاليونانية مثلا تأثرت في اواخر ايامها بافكار يهودية : (وبمدرسة الاسكندرية خصوصا – ومنها فيلون اليهودى وافلوطين ...) والحضارة الرومانية لم تخل من اثر اليهود السياسي والفكرى ، وفي هذا دلائل قاطعة على ان الصلة بين افكار اليهود والحضارة الانسانية جملة صلة قديمة كصلة اية ثقافة اخرى واى دين بدين ، وآراؤهم مندمجة منذ القديم بآراء غيرهم ، ومن الصعب التفريق بين ماهو يهودى وما هو غير يهودى .

وبهذا ندحض فريات الصهيونية ومن ينفخون في ابواقها ونرد على تجنيهم على العالم وعلى الحقائق المجردة ، وبالتالي على العلماء حتى من ابناء جلدتهم ، في سبيل ايهام الرأي العام العالمي بانهم كل شيء وهاهم في الواقع بشيء اذا احزمت الامم امرها للقضاء عليهم و... في بوتقــــة البشرية صهرا تاما لاتقوم لهم بعده قائمة ..

وما كنا لنسهب في ايراد هذه الفريات الواهية والرد عليها لولا ان كثيرا ... العربية وغير العربية تأثروا ـ عن قصد او دون قصد ... بها تأثرا جعل اقلامهم محاولة ... في الكيان العربي ، فانهم بمعرض التنبيه الى الخطر الصهيوني يتبطلون المزاعم ويفترون ... ويرددون ـ كالببغاء ـ المزاعم الصهيونية ترديدا اعمى بعيدا عن الضبط والتحقيق ، فقد ... في كتاب "الخطر اليهودي" للاستاذ محمد خليفة التونسي : ((ان المحفل الاميركاني الماسوني الذي ... الماسونية الكونية ـ وسائر اعضائه من اعاظم زعماء اليهود وحدهم ـ عقد مؤتمرا ... اليهود اصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية ، وذلك بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لاثارة الثورة في روسيا ، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم : موتيمر ، شستر ، ... ، روز وشيف)) ...

وجاء في القسم الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون الذي نشره (سرجيوس نيلوس) الروسي ، وزعم بان سيدة فرنسية اختلسته من احد كبار زعماء الماسونية في باريس وأعطته الى (اليكس نيقولا نيفتش) كبير اعيان روسيا القيصرية ، جاء على لسان اليهود قولهم : ((لاتتصوروا ان ... اننا كلمات جوفاء ولاحظوا ان نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، وان الاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاممي (غير اليهودي) سيكون واضحا على التأكيد)) .

كما ورد في كتاب المسألة اليهودية للاستاذ عبد الله حسين : ((كان الاعتقاد سائدا بان ... منظم على اسس ثابتة وقوانين معينة فجاء اليهودي (انيشتاين) بنظريته فقلب تلك النظريات رأسا على عقب بينما كان العالم الاوروبي يعد اكتشافاته في هذا المضمار مفخرة الحضارة ...))

واكثر من ذلك قول (فرانك بريتون) في كتابه (الصهيونية والشيوعية) ان انيشتاين كان وسيطا في دخول (فوخس) الى الولايات المتحدة ، وفوخس هذا هو الذي اتهم واديـن ... الاسرار الذرية الى الروس ...

وبين ايدينا اليوم عشرات الكتب تنسج كلها على هذا المنوال ، حتى لقد ذهب بعض المؤلفين الى ان الثورة الفرنسية انما هي من تحضير اليهود ... فاذا نحن اخذنا بهذه الاقوال على عواهنها ترتب علينا ان ننظر الى الكرة الارضية وكانها دمية صغيرة تعبث بها حفنة من اليهود .. غير ان التحقيق العلمي يأبى علينا الانزلاق فيما يفتقر الى السند الصحيح .

فاولا : ان تاريخ الحركة البلشفية خال من اسماء اليهود الخمسة الذين قيل بانهم ... مليار دولار وقرروا تضحية مليون يهودي في سبيل اذكاء الثورة ضد القيصرية .

ثانيا : قد تكون العلاقة وثيقة بين الماسونية واليهودية ، فالاستاذ يوسف الحاج في كتابه (هيكل سليمان) اقام اكثر من دليل على ذلك ، ولكن هذا لايعني بان الماسونية ربيبة الصهيونية ... من الاصل ، فمنطق الامور يرجح الرأي المعاكس بتعليل ان اليهود كانوا يدعمون كل حركة ...

شأنها تعميم الاخاء والمساواة ونبذ العنصرية والفوارق الدينية بغية التخلص من الاستعباد الذي يزعمون انه لحق بهم — دون حق — في ادوار التاريخ عموما وفي القرن التاسع عشر خصوصا ، وأدل على ذلك من ان جمعية الكاربوناري الايطالية قد ضمت عددا كبيرا من اليهود ، وان البروتستانت (المضطهدين) كانوا كثرة ساحقة في الواج الماسونية وهلم جرا ...

ثالثا : يقرر الاستاذ الفريد ليلنتال في كتابه (ثمن اسرائيل) ان العلامة انيشتاين اجاب على سؤال وجهه اليه احد اعضاء لجنة التحقيق الاميركية البريطانية عام ١٩٤٦ عن مدى ضرورة انشاء دولة يهودية لحل قضية اللاجئين اليهود بقوله : ((ان فكرة انشاء دولة لاتلاقي هوى في نفسي ، انني لا افهم الحاجة الى قيام هذه الدولة)) ... وفي عام ١٩٤٨ ايد انيشتاين فكرة المنظمة التي تتصور ماغنز الرامية الى انشاء دولة اتحادية في فلسطين تتألف من العرب واليهود على السواء . وفي سنة ١٩٥٠ كتب انيشتاين نفسه يقول : ((لقد كنت افضل قيام تفاهم ودي مخلص بين العرب واليهود ليعيشوا بفلسطين في جو من الاخوة والوئام عوضا عن انشاء دولة يهودية ، وبغض النظر عن الاعتبارات العملية ، فاني اعلم ان طبيعة الديانة اليهودية تقاوم انشاء دولة يهودية بحدود وجيش لأن ذلك يعود عليها بالاضرار الجسيمة ويجعلها عرضة للمقاومة والانحلال)) . وفي عام ١٩٥٢ بعث الى مؤسسة اطفال فلسطين برسالة قال فيها : ((لقد اصبح من الضروري كبح جماح الوطنية المتطرفة التي برزت في اسرائيل ، حتى يعيش الجميع هناك في صداقة ووئام مع العرب)) .

وقد اشار البروفسور فيليب فرانك الى رفض انيشتاين منصب رئاسة جمهورية اسرائيل فقال : ((انه رفض المنصب بطريقة مهذبة بحجة ان كفاءاته لا تؤهله لتسيير شؤون الدولة السياسية)) وعلق فرانك على ذلك : ((بان رفض انيشتاين اعتبر في الاوساط السياسية النيويوركية صدمة لأسرائيل ... الا ان الصهيونية مازالت تستخدم اسمه في تقوية معنويات اسرائيل وزيادة رأسمالها السياسي في العالم)) .

فيتضح مما تقدم ان الصهيونية تعمل جاهدة لأحاطة نفسها بكثير من الضجيج والاوهام لتوهم اخصامها بانها قوة لاتغلب وانها منذ القديم توجه العالم كله الوجهة التي تسخره لمصلحة اليهود وان لها من الحول والطول مايمكنها من دك العروش وتحطيم الممالك ، الى غير ذلك من التهويل الذي سيطر على بعض العقول والهج كثيرا من الالسنة في الدعاية لها والترويج لفرياتها ... ولكن هذا لايعني باننا ننتقص من قيمة الخطر الصهيوني ، او اليهودي في الماضي والحاضر وفي المستقبل، فماضي اليهودية حافل بالدس والتآمر ، وقد تمخض قيام اسرائيل الآن عن صراع في الشرق الاوسط يتعذر التكهن بمداه ، ان قيام دولة يهودية مستقلة ، سيؤدي في المستقبل القريب ، الى مشكلة ازدواج ولاء اليهودي المقيم في البلاد الاجنبية وتوزع هذا الولاء بين وطنه الروحي والوطن الذي يقيم فيه ، ومايستتبع هذا الازدواج من نتائج ...

على ان طبيعة البحث وحدود هذه الرسالة تقضيان علينا الوقوف عند حدود الماضي (التاريخي) فلندعه يحدثنا عن مؤامرة صهيونية كبرى غفل عن تحقيقها مؤرخو العرب في العصر الحديث .

دور الصهيونية في الانقلاب العثماني :

تحت عنوان : (كيف هزمت الجمعية الصهيونية سلطنة عبد الحميد الثاني) عقد المؤرخ التركي الاستاذ مولان زاده رفعت في الصفحة ٧٢ من كتابه (تركيا انقلابنك ايج يوزى) اي خفايا الانقلاب التركي — مطبعة الوقت سنة ١٩٢٩ — عقد فصلا نعربه فيما يلي :

((على اثر القرارات التي اتخذتها الجمعية الصهيونية في مؤتمر (بال) شرعت تـ... سرا ، (واليهود يعتمدون عادة على المال ، او الرشاوى ، في تنفيذ مآربهم سلما حتى اذا فشلوا عمدوا الى وسائل غير مشروعة لا شفقة فيها ولا رحمة ، كما فعلوا في تقويض دعائم روسيا القيصرية والدولة العثمانيــــة) .

اما قصة تحطيم تركيا : فقد ذكرنا سابقا مقررات مؤتمر بال السرية ورغبة الصهاينة في اقامة وطن قومي بفلسطين — التي كانت اذ ذاك تحت الحكم العثماني — وعلى هذا حاول الصهيونيون — بموجب برنامجهم المألوف الوصول الى غايتهم سلما عن طريق المال ، فجاء مندوب من قبلهم هو الماسوني (عمانوئيل قره صو) .



((وقـــد اخذنـــا الصورة عن ((رسملي كتـــاب صفحـــة ٨٢٨ الجلـــد الرابـــع تموز سنـــة ١٣٢٦ ... من سلانيك الى استانبول ، حيث تمكن بمساعدة ودلالة حسيب بك الكاتب من المثول بين يدي السلطان في قصر (جيتلي) بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٠١ ، ومن التماس الباب في حضرته ، وتقديم الخطاب كاستدعاء من الجمعية الصهيونية ، وهذا نصـــه :

ياحضرة مولانا صاحب الشوكة ومالك نصاب الرحمة .

((حسب علمكم الملوكي ، يعيش اليهود متفرقين بمختلف البلدان ، وان الذين ضاقوا ... اسبانيا انضووا تحت جناحكم وعطفكم فسعدوا بما رأوا من حسن القبول ، وخدموا التجارة والاقتصاديات وبما ان الممالك المحروسة الشاهانية متأخرة اقتصاديا بالنسبة لبلدان اوروبا فقد تلافوا هذا النقص وكانت ، بالمقابل ، حكومتكم السنية وذاتكم العلية صاحبة المراحم الملوكية شفيقة رحيمة بهم الـ... حـــد بعيـــد .

ياصاحب الشوكـــة : يوجد عدة ملايين من اليهود يذوقون عذابا في روسيا لايمكن احتماله ، وان الجمعية الصهيونية التي تأسست عام ١٣٥ م في صهيون كلفت عبدكم برفع هذا المعروض السامي لمقامكم الشاهاني بغية انقاذهم واسكانهم في مكان واحد (وقدم عمانوئيل العريضة للسلطان ، وتابع الكـــلام) وان اليهود يسترحمون ان تحسنوا اليهم فتخصصوا هذه الاراضي المقررة التي تمتد بخط يبدأ من شمال يافا الى شرقي بحيرة طبريا وينتهي في جنوب غزة — كما هو مبين في الخارطـــة المرفقة — لهذه الغاية ، وانهم مقابل احسانكم هذا يقدمون الى الخزانة المالية التي تعاني ضيقا — بسبب حرب اليونان مبلغ ٢٠ مليون ليرة دون فائدة وعلى ان ترد في وقت السعة على اقساط ، كما انهم يقدمون ايضا خمسة ملايين ليرة كهدية للخزانة ، وانهم ليتمنون ويضرعون الى الذات الشاهاني بان يقبل استرحامهم ورجاءهم)) . انتهـــى .

فاحتد السلطان عبد الحميد واخذه الغضب من طلبات اليهود وطرد عمانوئيل قره صو من حضرته ووبخ عارف بك الذي فر في الليلـــة نفسها الى اوروبا خوفا من بطشه .

وبعد هذه المقابلة اخذت الجمعية الصهيونية تحيك الدسائس لاسقاط السلطان عبد الحميد ، فاتفقت مع البارون (ايرنتال) ((اليهودي)) وزير الخارجية النمساوية على اعداد ثورة داخلية كبيرة في مقدونيا ، وقد دعي لهذه الغاية الى مدينة (اسكوب) الزعيم الثوري — البلغاري (صاندانسكي) وتم توقيع البروتوكول التالي مع النمسا :



وقد اخذنا الصورة عن رسطي كتاب صفحة ١٠٤٢

١٠ تموز سنة ١٣٢٥ رومي))

نص البروتوكول

مادة ١ — لا تتعرف الجمعية الثورية الموجودة في (وويوه) تحت امرة صاندانسكي بعد الان على الحكومتين الروسية او البلغارية ، وستكون تحت امرة حكومة النمسا .

مادة ٢ — تحضر هذه الجمعية الثورية ثورة في مقدونيا عام ١٩٠٢ ويعطى صاندانسكي الموجود في (وويوه) لهذه الغاية — سلفة قدرها ٣٠ الف ليرة ذهب .

مادة ٣ — الموظفون السياسيون النمساويون في دور المفوضيات بمقدونيا يعاونون الجمعية الثورية ويتدلركون لها الاسلحة والمعدات والاطعمة اللازمة ويحمون افراد العصابات من تعقيبات العثمانيين .

مادة ٤ — سيكون صاندانسكي الموجود في (وويوه) البرنس المستقبل لمقدونيا .

كيفية افتضاح البروتوكول :

حينما دعي صاندانسكي سرا (الى اسكوب) حل ضيفا على المصور الفوتوغرافي (بوبوف) وكان هذا من المقدونيين البلقانيين ، وعضوا في الجمعية المركزية فلم يجد صاندانسكي مانعا من — اطلاعه على البروتوكول ، ولكن بوبوف — وقد وجد فيه مايخالف مصالح بلغاريا — اخذ صورته في الحال وارسلها الى مركز الجمعية الثورية البلغارية ، وباع نسخة اخرى الى مفتش الحدود العثماني وهو احد (ياوري) السلطان عبد الحميد وبهذا الشكل ، وقبل وقوع الثورة ، كان السلطان والبرنس فردينانند (امير بلغاريا التابعة لتركيا) قد اعد اللامر عدته ، فلما ظهرت طلائع عصابات صاندانسكي وجدا اليها قوة كبيرة قضت عليها في الحال قبل ان تتدخل دول اوربا وبالاخص — النمسا ، وفقا للخطة المبيتة .

وهنا عمدت الجمعية الصهيونية الى اثارة الجيش الثالث المرابط في مقدونيا ضد الحكومة — العثمانية واوكلت المهمة الى عمانوئيل قره صو بعد ان اودعت مصرف (ويز بنك فراين) مبلغا ضخما لحسابه ورسمت له خطة العمل على الاساس الآتي :

١ـ اقناع صغار الضباط في الجيش الثالث باحداث جمعية ثورية ضد الحكم القائم .

٢ـ يقوم هؤلاء الضباط ـ متى شكلوا قوة كافية ـ بطلب الادارة المشروطة ((اى الحكم الديموقراطي)) واعلان العصيان على ادارة استانبول ، فتضطر الحكومة المركزية عندئذ الى توجيه قوة كبيرة من بر الاناضول لقمع الفتنة تشتبك مع الجيش الثالث المتمرد ، فتتاح الفرصة لتداخل الجيش النمساوي الذى يترتب عليه في صد العثمانيين الى سلانيك والزام العثمانيين بالتخلي عن منطقـــــة (الروملي) .

٣ـ اذا استجاب السلطان عبد الحميد الثاني الى الطلب واعلن الادارة المشروطة ولم يرسل جيشا لقمع الحركة ، تكون الترتيبات متخذة لفوز اعضاء الجمعية الثورية في الانتخابات ودخولهم ـ البرلمان ليتحكموا في مصير الدولة والشعب جميعا .

فاضطلع عمانوئيل بالمهمة ، ولف حوله كثيرا من الضباط وتم تشكيل جمعية ثورية اسمها (جمعية الاتحاد والترقي) تمركزت في سلانيك واتخذت لها فروعا في مناستر واسكوب واشقودرة وغيرهما وكان في جملة اعضاء اللجنة المركزية جاويد بك المشهور (وهو يهودي يتظاهر بالاسلام) ومصطفى كمال بك وهو اتاتورك ، وكان حينئذ برتبة رئيس ، وانوربك ، وجمال بك (وهو جمال السفاح) وغيرهم ...

وكان من اعضائها في (مناستر) صلاح الدين بك قائد الاركان الحربية والرئيس الممتاز رمزي بك ـ وهذا ايضا يهودي الاصل ـ ...

على ان عيون السلطان عبد الحميد كانت بالمرصاد لكل حركة ونأمة ، فاعلمه اسعد باشا (من اهالي يافا ومن الجيش الثالث) بحركة قره صو واتباعه ، فاصدر ارادته السنية بتشكيل هيأة تفتيشية يرأسها حسين حلمي باشا المفتش العام للجيش في الروملي واعضاؤها : القومندان اسعد باشا ـ (الذى اخبر السلطان) والفريق الاول شكري باشا والفريق اسماعيل ماهر باشا وامير اللواء رجب باشا والقائمقام اركان حرب فهمي بك . وسرعان ماقامت هذه اللجنة بالتحقيق وكشفت عن اسماء المتآمرين وبعثت تستمزج رأى الباب العالي في التدابير التي يراها بحقهم ، وكان ان سبق كل من علي باشا رئيس اركان حرب الجيش الثالث وحسن رضا بك البغدادي الميرالاى المدفعي الى الاستانة ، ثم ورد ايعاز باعتقال صلاح الدين بك وحسن طوسون بك واسماعيل حقي بك وانور بك ، غير ان حسين حلمي باشا (رئيس اللجنة التفتيشية) اشعر الجمعية الماسونية التي ينتمي اليها بالايعاز الوارد فاعتصم ـ الضباط المطلوبون بالجبال واعلنوا التمرد على السلطان .

تحير الباب العالي لهذه البادرة وقبل ان يتخذ اجراءات حاسمة بصددها استغل الصهيونيون الموقف وراحوا يشيعون عن طريق الصحافة ضروبا من الدجل والتهويل لايهام الرأى العام العالمي بان الجيش كله ثائر على السلطان وعلى نظام الحكم القائم وانه لن يتراجع مالم تتحقق الادارة المشروطة ويكيلون للخليفة السباب والشتائم . وفي هذه الاثناء ابرق فيروز بك وبعض النبلاء الالبانيين (ـ الارناؤوط) مطالبين البادیشاه باعلان (القانون الاساسي) ، وزعم رشيد باشا متصرف منطقـــــة (سهرز) للمابين بان العسكريين والمدنيين في الروملي سيبايعون رشاد افندى ولي عهد السلطنة في حال عدم اعلان القانون .

فاستشار السلطان الخلّص من رجاله ، وكلهم يحسنون صناعة الملق والزلفى ، فاقترح عليه سعيد باشا الصغير المشهور باسم شابور جلبي ايجاد مجلس مبعوثان (اى مجلس نواب) واعلان

عفو عام ، وكان ان استبدل السلطان عبد الحميد الصدر الاعظم فريد باشا الالباني بسعيد باشا ـ الصغير واعلن الادارة المشروطة وايجاد مجلس مبعوثان ، وتم ذلك في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ مالية الموافق ليوم ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ ميلادية .

تابع الصهيونيون احكام الحلقات التالية من سلسلة مؤامراتهم فضمنوا اكثرية الكراسي النيابية لاعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، ثم وقعت حادثة ٣١ آذار الشهيرة حيث حركت هذه الجمعية الجيوش من سلانيك بقيادة محمود شوكت باشا الذى احتل العاصمة بقوة السلاح ، والتأم مجلس مبعوثان ليقرر خلع السلطان عبد الحميد ، وندب لجنة ثلاثية لابلاغه قرار الخلع ، كان عمانوئيل قره صو ـ اليهودي ـ الذى طرده السلطان لانه تجرأ على المطالبة بتوطين اليهود في فلسطين ـ من جملة اعضائها .

ولما دقت طبول الحرب العالمية الاولى وبه اليهود مجلس مبعوثان الى خوضها بجانب المانيا بينما انحازوا هم الى جانب انكلترة فاستطاعوا بهذه المناورة الماكرة افدح الاضرار بالدولة العثمانية وتوصلوا بالتالي لانتزاع وعد بلفور ، وهذا ما جعل حاييم وايزمن يتبجح في خطاب القاه ونشرته مجلة النفائس العصرية بقوله : ((في هذا اليوم اصبحت الصهيونية تحكم جميع الكون ، وانها تستطيع متى شاءت ان تهز العروش الباقية ... لقد كنا نحن اليهود اسرى للنصرانية ، ولكن يجب ان يكون افراد جميعها عبيدا لنا بعد الآن)) .

هذه خلاصة المؤامرة الكبرى التي طوحت بالخلافة الاسلامية ، توخيت في ايرادها الدقة ـ والامانة ، وقد وقفت عندها باحثا مدققا في ايجاد سند تاريخي يؤيد وقائعها ، حتى انتهت ـ تتبعاتي لكشف آخر لعبه اعظم شأنا واجل خطرا ، فقد عثرت على رسالة بخط السلطان عبد الحميد نفسه بعث بها من منفاه الى الشيخ محمود افندي ابو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية ، وتطرق فيها الى هذه المؤامرة ودور جمعية الاتحاد والترقي في حبك خيوطها والى محاولة اليهود شراء ضميره بمبلغ ضخم من المال ، وفيما يلي تعريب الرسالة كما حققتها دولة العلامة الاستاذ فارس الخوري والعلماء ـ السيد فخري البارودي والاديب السيد نسيب الاختيار ، وكلهم يحسنون اللغتين التركية والعربية :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين ، وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين .

ارفع هذه العريضة الى قطب رحى الوجود سيدنا الشيخ محمود افندي ابو الشامات شيخ الطريقة العلية الشاذلية في دمشق المحمية ، ادامه الله محفوظا بالعناية الربانية هو وآله وصحبه واخوانه ... ومريدوه واتباعه اجمعين .

بعد عرض التحية والاحترام مع تقبيل الايدي وطلب الادعية اعرض ، قد وصلني كتابك المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية وحمدت الله على دوام صحتك وسلامتك وشكرته تعالى على ذلك ، ثم اني بحمد الله وتوفيقه محافظ على قراءة الاوراد الشاذلية صباحا ومساء مع قراءة الوظائف الشاذلية والحمد لله ، واني محتاج دائما لدعواتكم القلبية ، ثم اعرض لرشادتكم على سبيل التاريخ ، وليعلم عند ذوي العقول السليمة امثال سماحتكم ، انني ماتركت الخلافة الاسلامية الا للضغط علي من قبل الجمعية

العليا لجماعة الاتحاد (اى : جون تورك) وقد عرضوا علي ان اصدق لهم على تأسيس وطن قومي لليهود في الاراضي المقدسة في فلسطين فلم اقبل ، فعرضوا علي مبلغ مئة وخمسون مليون ليرة انكليزية ذهبية فلم اقبل مطلقا ، وقلت لهم لو وضعتم ملء الكرة الارضية ذهبا لا اقبل ، واني خدمت الملة الاسلامية مدة تفوق الثلاثين عاما لم اسود خلالها صحيفة المسلمين والصحيفتي ... ابائي واجدادى من الخلفاء العثمانيين ، لذلك لا اقبل مطلقا . فاتفقوا على خلعي ونفيي الى سلانيك ، فقبلت بذلك وحمدت الله على اني ماخطيت قلما ولا حرفا يسود الدولة العلية العثمانية ، وحصل ماحصل والحمد لله على ذلك ونعمكم كفايـــــة . وفي الختام ارجوكم واحترمكم قبول احترامي مع تقبيل الايدى اللطيفة وسلامي لعموم الاخوان والاصدقاء ولا... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدى الاستاذ المعظم . وما اطلعت على سماحتكم هذه العبارة الا لتحيطوا علما بها انتم وجماعتكم .

سا ٢٣ تشرين الاول سنة ١٣٢٩

خادم المسلمين

التوقيع : عبد الحميد بن عبد الحميـــــد

ان هذه الوثيقة التاريخية لم تنشر قبل الآن ، واصلها التركي محفوظ لدى الشيخ ... عبد الرحيم ابو الشامات ابن الشيخ محمود ، ولها صورة في حوزة الامام ابي القاسم الكاشاني حصل عليها اثناء مروره بدمشق عام ١٩٥٢ . وهي لاشك تدعم كل ماجاء في كتاب المؤرخ مولان زاده رفعت . على ان ثمة ثلاث نقاط تستوجب الايضاح والجلاء :

اولا : ورد في رسالة السلطان عبد الحميد ان المبلغ عرض عليه هو ١٥٠ مليون ليرة بينما كان مجموع العرض في خطاب عمانوئيل قره صو ٢٥ مليون ليرة ، فايهما هو الصحيح ؟!

كلاهما صحيح على الارجح بتعليل ان الامكانيات المادية للصهيونية كانت اضيق بكثير يوم تقدم عمانوئيل بالعرض الاول عما بلغته بعد نيف وسبع سنين يوم تقدم الاتحاديون بالعرض الثانـــــي .

ثانيا : ماهي الصلة بين السلطان والشيخ محمود ابو الشامات ؟

يقرر الاستاذ فخري البارودى في الجزء الاول من مذكراتـــــه مايلـــــي :

((كان طبيعيا الا يرتضي السلطان عبد الحميد العهد الذى فرضه عليه الانقلابيون ، وهو الذى استبد بجبروته العظيم وملكه الواسع ، وكان الموت والحياة بين شفتيه ، ان ركب مشى الاكابر في ركابه ، وان نزل وقفوا بين يديه وخضعوا لموظفيه بل خدامه .

وكانت ادارة البلاد في عهده بايدى المتسلطين من الاعيان والوجهاء والمحشوبة من الشيوخ والسفطاء فانقطع رزقهم بعد الانقلاب ، وتهدم نفوذهم ، واصبحوا شاردين في الافاق وعقب الصدمة الاولى استعادوا جأشهم ، فاتفق بعض رجال الدين بالاتفاق مع رجال عبد الحميد المعزولين وبتشجيع السلطان نفسه ، حركة خفية ، ظهرت بعد بضعة شهور من الانقلاب باسم

((الجمعية المحمدية)) في الولايات والعاصمة . وقد استطاعوا ان يستميلوا كثيرا من العوام وراحوا يحاولون هدم ما انشاه الاحرار العثمانيون .. وكان يترأس هؤلاء الرجعيين في دمشق الشيخ ابوالهدى الصيادي الحلبي ، فراح يتهجم على الاحرار ، ويحرض الناس عليهم ، فتصدى له المرحوم الشيخ رشيد رضا ، وهومن احرار العرب المسلمين الذين جاهدوا لرفع الظلم وبث الاصـــــــلاح .

وذات يوم القى السيد رشيد عظة في الجامع الاموى داعيا الى اصلاح الدين ، فنهض رجل يدعى الشيخ صالح التونسي ، وراح يخطب في المسجد ضد الشيخ رشيد .

وقد اتى المرحوم الامير شكيب ارسلان على ذكر هذه الحادثة في كتابه ((السيد رشيد رضا اواخاء اربعين سنة))

والذى يعنينا من هذا المقطع : قيام الجمعية المحمدية بتشجيع السلطان عبد الحميد لمناوئة الاتحاديين باسم الحفاظ على الخلافة والاسلام — وقد ايد العلامة الاستاذ الخوري خبرها واضاف بان آل الجزائرى كانوا عمداءها في دمشق — ويبدو لي ان مثل هذه الحركة انما تقوم على رجال الدين والمتمجدين والشيخ محمود ابوالشامات من هؤلاء في الطليعة ، فهو شيخ الطريقة الشاذلية ، بل ان الشاذلية فرع من الطريقة الرفاعية وهذه هي طريقة الشيخ ابي الهدى الصيادى الذى كان من اخص اصفياء السلطان ، وبذلك تتضح العلاقة بين عبد الحميد وابي الشامات ، فضلا عن الاعتبارات النفسية التي لعلها سيطرت على الخليقة العظيم في منفاه وجعلته يتقرب الى المتمجدين .

ثالثا — كيف بعث السلطان بالرسالة من منفاه ، وهل ان لهجتها تأتلف مع ما عرف عنه من كبرياء وجبـــــــروت ؟ !

توصلت في تتبعاتي حول نقل الرسالة الى ان المرحوم القومندان محمود بك الطرابيشي من سكان دمشق قد عين الى سلانيك فقصد — وهو شاذلي صميم — الى الشيخ محمود ليودعه بمناسبة سفره فحمله الشيخ رسالة الى السلطان (ويتضح ذلك من جواب عبد الحميد) يعزيه فيها ويحثه على الصبر والتحمل ... فرد عليه برسالة جوابية — هي التي بين ايدينا — نقلها محمود بك نفسه من سلانيك ، وقد اتصلت بعدد من الضباط القدامى فأكد بعضهم وجود — الطرابيشي فترة من الزمن في هذه المدينة ولكن تعذر عليهم تحديد التاريخ ، وهذا ما انا جاهد في سبيل تحقيقه . اما لهجة الرسالة وتنافيها مع ما عرف عن كبرياء السلطان فتعليله سهل يسير اذا رددناه الى العوامل النفسية من جهة والى انه من مريدى الطريقة الشاذلية من جهة ثانية والى ان رجال الدين هم وحدهم الذين نصروه يوم تخلى عنه الناس جميعا من جهة ثالثة ..

اماتسمية المجاهد الاستاذ البارودى الاتحاديين ((باحرار العثمانيين)) فلا يرد عليه الطعن لأن امر الاتحاديين لم يكن قد كشف حين دون الرجل مذكراته ولم يكونوا قد اسفروا عن تنكرهم للعرب كما هو معلوم .

خاتمـــــة الفصل

حوصت كل الحرص على اظهار الصهيونية على حقيقتها فانكرت عليها مايجب نكرانه من ادعاءاتها الكاذبة ، وكشفت في الوقت نفسه عن كيدها واكبر موأمراتها ، يقينا مني بان الاغراق في تهيبها يثبط العزائم والاستصغار بها ينطوي على خطر امر وادهى ، ولعل في الفصل التالي مايعطي القارئ العربي صورة واضحة عن تنظيماتها قد تساعده في تقرير انجع الوسائل للقضاء عليها وابادتها بسلاحهـــــــا .

الفصل الخامس

× × × × ×

الصهيونيـــــة ، موءتمراتها ومنظماتهـــــا

مرت الحركة الصهيونية بمراحل عديدة قبل ان تتبلور بالصفة التي اتخذتها موءخرا ، وهذا مايحدو بنا لأن نأخذ باكثر التعاريف انطباقا على مفهومها الراهن ، وهو الذي اورده الاستاذ بونغلد في كتابه الصهيونية صفحة ٣٨٧ بالفرنسية) حيث يقول : ((انها الحركة التي ترمي الى اعادة جميع اليهود الذين يريدون ، او الذين لايقدرون على الاقامة في البلاد التي يقطنونها ، والذين يبلغ عددهم عشرة ملايين ، الى فلسطين)) .

ولكن هذا التعريف لاينطبق عليها الا من التاريخ الذي استهدفت فيه توطين اليهود فـــي فلسطين واخذت تعمل لهذا المشروع دون غيره من المشاريع الكثيرة التي عرضت على بساط البحث اذ ان موءرخي الصهيونية من اليهود يذكرون انه لما اشتدت وطأة اضطهاد اليهود في شرقي اوروبا في القرن التاسع عشر قام زعماء اليهود يبحثون عن ملجأ يأوون اليه ، فعقدوا موءتمرا عاما لتعيين هذا الملجأ ، ورأت اكثريتهم الهجرة الى اميركا كما رأى البعض الاخر - وهم قلة ثابتة - الهجرة الى فلسطين واعلنت اغلبية الموءتمرين ان الولايات المتحدة هي بلاد غنية واسعة الارجاء ، بلاد النور والحرية ، ذات امكانيات محدودة ، وانه لاتجوز الهجرة الا اليها . اما فلسطين فقالوا انها بلاد فقيرة ، لاتجارة فيها ولاصناعة ولا امكانيات للحياة ، وممن قالوا بهذا الرأي الشاعر العبري المشهور في الادب المعاصر ، وهو ((يهود اليبغورد ون)) ، الذي الف القصائد الجميلة حاثا بني جلدته على الهجرة الى اميركا والى مافيها من حرية ونور ، منفرا اياهم من الهجرة الى فلسطين بلاد الظلمة والفقر .. وهكذا هاجر مئات الالاف من اليهود الى اميركا ، ولم يسافر منهم الـــــى فلسطين سوى بضع مئات .

ولقد كان اليهود في الماضي ومازال الكثيرون منهم حتى اليوم لايرون في الديار المقدســة الا مكانا للعبادة والموت ، فيسافر الواحد منهم في شيخوخته الى فلسطين ليتعبد ويموت ويدفن فيها ، اويوصي بنقل رفاته بعد موته اليها . ويعتقد هوءلاء المتدينون انه لايجوز لهم ان يفكروا في العودة الى فلسطين من تلقاء انفسهم ، وانه يجب عليهم ان ينتظروا الى ان يأتي ((المسيح)) ويعيدهم الى ارض الميعاد ويعيد بناء مملكة اسرائيل . وهذا هو السبب في ان المتدينين الحقيقيين من اليهود يرفضون الاعتراف بدولة اسرائيل ويعارضون حتى الان في اعادة بناء المملكة .

وفي اوائل القرن التاسع عشر اشتد اضطهاد يهود روسيا فأخذوا يفكرون في الرحيل عنها ·
وظهرت بينهم الحركات السرية وعقدوا عدة اجتماعات ومؤتمرات للبحث في مصيرهم · وفي سنة
١٨٤٥ عقد اول مؤتمر يهودي باسمه ((مؤتمر حكماء صهيون)) في بطرسبرج عاصمة روسيا وقبل
ان هذا المؤتمر اتخذ قرارات سرية هامة ترمي الى بسط السيطرة اليهودية على العالم · وقد رتبت
هذه القرارات باسم (بروتوكولات حكماء صهيون)) ·

وفي سنة ١٨٦٧ عقد يهود روسيا مؤتمرا آخر باسم ((مؤتمر محبي صهيون))



حضره كبار زعماء اليهود وقرروا تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين · وكان الحاخام ((يهوذا الفلاعي)) في طليعة من نشر فكرة استيطان اليهود في فلسطين ، ووضع خططا واقية لعودة بني اسرائيل الى فلسطين ، واسس في انكلترا شركة لتعمير فلسطين وامتد نشاطه الى القدس رأس رابطة ((الاليانس)) لتعمير فلسطين ، بيد انه لم يوفق في عمله هذا ·

وفي سنة ١٨٦٠ اصدر ((زفي كليتر)) كتابا باسم ((بغية فلسطين)) اكد فيه ان على اليهود ان يؤسسوا مستعمرات في فلسطين ، وفصل فيه كيفية الحصول على الاراضي بمعونة المتبرعين ، وكيفية تجنيد الشباب اليهودي · · · وكان لهذا الكتاب اثر قوي ، غير انه اثار معارضة اليهود المتدينين في المانيا · وقد اثرت افكاره على ((كارل نيتر)) اليهودي الفرنسي ، فاسس هذا باسم شركة (الاليانس)) · المدرسة الزراعية ((مكفي اسرائيل)) ·

في تلك الفترة ظهر نصير قوي لمشروع الاستيطان اليهودي هو البارون روتشيلد الذي امد المستعمرات اليهودية بمبالغ كبيرة وبعث الخبراء الزراعيين من اوروبا لارشاد الفلاحين وانشأ المعاصر الحديثة في مستعمرتي ((ريشون)) و ((زخرون يعقوب)) ·

وفي عامي ٨٩٠ ــ ٨٩١ امت موجة عظيمة من المهاجرين الذين اخذوا يبتاعون الاراضي في فلسطين وكانت شركة ((منوحا)) اهم الشركات التي امتلكت مساحات واسعة واستغلتها ·

وفي القرن التاسع عشر تأسست مستعمرات عدة اخرى منها مستعمرة الخضيرة ، ومشمار هايارد ن وبير طوبيا وغيرها .

وفي العام الذي انعقد في بال المؤتمر الصهيوني الاول ، اي عام ١٨٩٧ ، كان في فلسطين ١٩ مستعمرة زراعية ، وكان معظم الفلاحين يتلقون المدد من روتشيلد اومن صندوق ((محبي صهيون)) . وكاد اليأس يستولي على جماعة ((محبي صهيون)) فان امنيتهم في ان تمتلئ — فلسطين بالمستعمرات المزدهرة خلال بضع سنين لم تتحقق .

في هذه الاثناء برز ((بنيامين هرتزل)) بكتابه عن ((الدولة اليهودية)) الصادر عام ١٨٩٦ وكانت فكرته ترمي الى توحيد مجموع اليهود وجعلهم قوة سياسية ، تطالب بوثيقة سياسية تعترف بحقوق اليهود في فلسطين ، وفي المؤتمر الصهيوني الاول الذي انعقد في مدينة بازل تأسست المنظمة الصهيونية ، ووضع برنامجها الذي ينص على ان ((الصهيونية تطمح الى اقامة ملجأ امين (وطن قومي) لشعب اسرائيل في ارض اسرائيل تعترف به الهيئات الصالحة !))

وفي المؤتمر الصهيوني الآنف الذكر تقرر عملا بمشورة البروفسور شابيرا تأسيس ((كيرن كاييمت اي صندوق مال دائم لاسرائيل ، وهدفه الحصول على الاراضي وتسليمها الى الفلاحين اليهود غيران ايرادات هذا الصندوق كانت ضئيلة في البدء ولم يكن يشعر بنشاطه احـــــد .

وفي عام ١٨٩٨ زار هرتسل فلسطين فاستقبله اليهود بحماسة ، كما قابل غليوم الثاني قيصر المانيا وحاول الحصول على تأييده لنيل الوثيقة . وفي بداية القرن العشرين انتهت الهجرة الاولى التي اتت بنحو ٣٠ الف يهودي ، بيد ان قسما منهم ترك فلسطين وهاجـــر الى اقطار اخرى .

ومنذ عام ١٩٠٤ تبدل مظهر الهجرة الى حد ما . فقد نزح من روسيا كثيرمن الشباب اليهود متقدين نشاطا لسكنى فلسطين . وفي هذه الاثناء كان يقطن في فلسطين ((يوسف فيتكن)) ، فتوجه الى الشبيبة اليهودية سنة ١٩٠٥ بنداء حماسي دعاهم به الى الهجرة الى فلسطين ، وقد جاء في ندائه : ((نحن ايها الاخوان ينقصنا كل شيء : تنقصنا الارض ، وتنقصنا اللغة القومية ، مما يكاد يميت شعورنا القومي . اننا الان على شفا جرف هاو والعالم كله يكرهنا ، والطبيعة تقاومنا . فانتبهوا يا شباب اسرائيل وعاونوا شعبكم ، فهو في حالة احتضار ، ويكاد يفلت منه وطنه الى الابد ، فالبدار البدار يا ابطال اسرائيل)) . ومنذ ذلك العام كانت السفن تأتي فلسطين مليئة بالمهاجرين الجدد ، واطلق على هذه الفترة من — الهجرة اسم ((الهجرة الثانية)) .

وبين هذا وذاك لم تنقطع الهجرة القديمة الرجعية المحافظة التي كانت ترمي الى العبادة والموت في ارض فلسطين . ومنذ نهاية القرن التاسع عشر وفد اليهود من ابناء الطوائف الشرقية من آسيا وشمالي افريقيا واستقر اكثرهم في المدينة المقدسة وانشأوا احياء جديدة ، كان يخيم عليها الفقر المدقـــع .

وجلبت الهجرة الثانية الى فلسطين نحو ٤٠ الف يهودي وكانت لغالبيتهم من روسيا ، وعند اعلان الحرب كان عدد يهود فلسطين ٨٥ الفا اي بنسبة ١٢٪ من مجموع السكان .

وفي التاسع من كانون الثاني عام ١٩١٧ خضعت القدس للجنرال ((اللنبي)) بعد ان تركها الجيش العثماني وقد طرب لذلك اليهود واعتبروا الجيش الفاتح منقذا لهم • وحين علم الاتراك بتأهب البريطانيين للهجوم اصدروا اوامر الابعاد ضد جميع اليهود الذين كانوا يقطنون تل ابيب والمستعمرات المجاورة لها • وقد نفذ امر الابعاد وتفرق اليهود في بعض المستعمرات الواقعة شمالي تل ابيب ونزح بعضهم الى قرى الجليل وازداد حنق الاتراك على اليهود حين علموا بمنظمة من الشبان اليهود تتجسس لصالح انكلترا •

ومع ذلك فقد اتى عام ١٩١٧ لليهود بما كانوا يطمحون اليه من مطامح سياسية • فبعد مفاوضات طويلة قام بها زعماء الصهيونية وعلى رأسهم حاييم وايزمن وناحوم سوكولوف مع حكومة بريطانيا اعلن في الثاني من تشرين الثاني وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور تصريحه باسم حكومته وباسم سائر الدول المتحدة في رسالة بعث بها الى اللورد روتشيلد • ولقد كان تحمس اليهود لهذا التصريح عظيما في جميع ارجاء العالم ، فتطوع آلاف الفتيان من اليهود في الفيلق اليهودي الذي تألف قبل ذلك ، وفي ٢١ تموز ١٩١٨ زار الدكتور وايزمن فلسطين على رأس لجنة خاصة ووضع الحجر الاساسي للجامعة العبرية •

وفي بداية عام ١٩٢٠ حدثت اضطرابات دامية في الجليل الشمالي الذي كان آنئذ تحت الانتداب الفرنسي • فقد ثدر السكان على الفرنسيون ، وهجموا على مستعمرتي تل حاي وكفار جلمادي • واصبح الدفاع عن تل حاي شعارا اسرائيليا ورمزا للبطولة الحديثة لدى الجيل اليهودي الحديث •

وبعد انعقاد مؤتمر سان ريمو في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ تبدلت السلطة العسكرية في فلسطين وحلت محلها السلطة المدنية ، وارسل الى فلسطين ((هربرت صاموئيل)) اليهودي الانكليزي مندوبا ساميا •

ولم تفتأ الكيرن كاييميت منذ تأسيسها تبتاع الاراضي • ففي عام ١٩١٤ كان في حوزتها مايقرب من ١٦ الف دونم واتسعت تل ابيب على الاخص بعد اضطرابات يافا عام ١٩٢١ حين انتقل قسم كبير من يهود يافا الى الضاحية اليهودية • وتلقت تل ابيب في تلك الايام من السلطات اشعارا باعتبارها مدينة صغيرة ، واعطيت الحق في تنظيم بوليس خاص ، وبلغ سكانها عام ١٩٢٢ ،(١٣) الف نسمة • وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٣ دخل فلسطين (٣٥) الف مهاجر وتسمى هذه الفترة من الهجرة بالهجرة الثالثة •

ولما ذهب هربرت صاموئيل وجاء اللورد بلومر كان اليهود قد اصبحوا اقوياء • وفي سنة ١٩٢٩ سافر بلومر ليحل محله تشانسلور الذي وقعت في عهده الاضطرابات العامة • وقد اسفرت عن طرد اليهود من الخليل وعكا وصفد ويافا • ثم جاء عهد واكهوب من سنة ١٩٣٣ فساعد اليهود على الهجرة بكثرة هائلة حتى اصبح عددهم ٦٠٠ الف نسمة فثارت ثائرة العرب وقاموا باضطرابات سنة ١٩٣٦ التي استمرت حتى نشوب الحرب العالمية الثانية • وعندئذ نظم اليهود الهجرة بصورة سرية والفوا المنظمات والجمعيات لهذه الغاية • ثم تحول هذه المنظمات الى اغراض اخرى هي الارهاب واستعمال السلاح وفي سنة ١٩٤١ اصبح عدد اليهود في فلسطين ٥٠٢ آلاف نسمة لهم

٢٣١ مستعمرة • وفي سنة ١٩٤٥ اصبحوا ٥٨٣ الفا يقيمون في ١٦١ مستعمرة • وفي سنة ١٩٤٧ اصبح عددهم ٧١٠ آلاف نسمة لهم ٣٠٠ مستعمرة ، وفي سنتي ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ انشأ اليهود ١٣٠ مستعمرة لاستقبال المهاجرين الجدد • وعندما اعلنوا عن تأسيس دولتهم ارتفع عددهم فاصبح ١٨٠٠٠٠ر١ في كانون اول ١٩٤٩ ، اى بزيادة ٧٤٥ الفا خلال ١٨ شهرا فاما الان فقد اصبح عدد سكان اليهود في فلسطين المحتلة ٤٨٥٠٠٠ر١ يهودى فكيف توصل اليهود الى هــــذه النتــــائج ؟

لا شك في خطط الصهيونية الحديثة قد رسمت في المؤتمرات الدورية التي عقدهـــا الصهيونيون ، وكان المؤتمرون في كل مرة يدققون فيما تم تحقيقه من اعمال تقررت في الدورة السابقة ، وفيما يلي خلاصة اعمال هذه المؤتمرات التي بلغ عددها ٢٢ مؤتمرا منذ هرتزل حتى قيام اسرائيل وذلك باستثناء المؤتمر الذى عقد في مدينة بطرسبرغ عام ١٨٤٥ وعرف بمؤتمر حكماء صهيون والذى وضعت فيه الخطوط العريضة للمؤامرة اليهودية على العالم • والمؤتمر الذى عقد في روسيا ايضا عام ١٨٦٧ وعرف بمؤتمر محبي صهيون • وقد نوهنا عنهما فيما تقدم •

المؤتمر العالمي الاول : عقد في مدينة بال (بسويسرا) ٢٠ آب ١٨٩٧ واشترك فيه ١٩٦ مندوبا مندوبا من انحاء العالم انتخبوا الدكتور هرتزل رئيسا له ، وقد اتخذ ثلاثة قرارات سياسية :

١ــ ان الصهيونية حركة ترمي الى استعادة دولة اسرائيل بحدودها التاريخية واعادة تكوين الشعب اليهودى في وطنــــه القديم •

٢ــ تأسيس الجمعية الصهيونية العالمية وانشاء فروع لها في كل مكان •

٣ــ تعميم / الشاقل / الصهيوني ، وهو عبارة عن بطاقة محدودة ثمن كل من يشتريها من يهود العالم يعتبر صهيونيا ويحق له الاشتراك في انتخاب اعضاء المؤتمر الصهيوني •

وقد ذهب كثير من المؤرخين الى الزعم بان مقررات اخطر من هذه شأنا قد اتخذت سرا في هذا المؤتمر ، وبحث المنحى نفسه جريدة التيمس اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٨ ايار سنة ١٩٢٠ ، والظاهر انهم جميعا خلطوا بين مقررات بال ومقررات حكماء صهيون ، بيد ان قرارا هاما اتخذ في بال وهو السيطرة على وسائل النشر في انحاء العالم وتسخيرها لصالح ــ الصهيونيـــــة ما امكن •

المؤتمر الثانـــــي : عقد في بال ايضا عام ١٨٩٨ وحضره ٣٤٩ عضوا برئاسة هرتزل وانتهى الى المقررات التاليـــــة :

١ــ تأسيس شركة الاستعمار اليهودى

٢ــ تأسيس جمعية لنشر اللغة العبرية بين يهود العالم •

٣ــ اصدار بيان بان الصهيونية لن تقوم باى عمل يخالف نصوص الدين اليهودى •

المؤتمر الثالث : عقد في بال عام ١٨٩٩ وقرر تحديد اعمال شركة الاستعمار اليهودى وايفاد الدكتور روبين الى فلسطين لتنظيم وانشاء مستعمرات عماليه فيها • وكان ان انشئت الاولى من

هذا النوع باسم مستعمرة دجانيا . كما قرر انشاء هيأة مركزية عامة لنشر الدعاية الصهيونية .

المؤتمر الرابع : عقد عام ١٩٠٠ بلندن وطلب من اللجنة التنفيذية وضع قانون لانشاء الصندوق القومي اليهودي وان تشمل الحركة مساعدة يهود العالم .

المؤتمر الخامس : عقد في بال برئاسة هرتزل ايضا وحضره ٣٥٨ عضوا قرروا تأسيس الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كايميت) وانشاء بنك انجلو بالستين ، وان تعني المنظمة الصهيونية بشؤون الثقافة .

المؤتمر السادس : عقد في بال عام ١٩٥٣ وقد قرر رفض اقتراح تشامبرلن وزير مستعمرات بريطانيا بخصوص انشاء وطن قومي في اوغندا الافريقية .

المؤتمر السابع : عقد عام ١٩٠٥ ، تراسه الدكتور ماكس نوردو - بعد وفاة هرتزل - وحضره ٤٦٧ عضوا قرروا رفض اي مشروع للاستيطان خارج فلسطين ، وتوسيع اعمال التوطين وانشاء مكتبة كبرى فيها !

المؤتمر الثامن : عقد عام ١٩٠٧ في لاهاي ، ترأسه دافيد ولفسون ، وقرر ايجاد الصندوق اليهودي التأسيسي (الكيرن هايسود) ودائرة خاصة لشؤون فلسطين ومكتب صهيوني في يافا واعتبار العبرية لغة رسمية للصهيونية .

المؤتمر التاسع : عقد عام ١٩٠٩ في هامبورغ برئاسة ماكس نورد و وقرر انشاء مصرف للتسليف الزراعي واقامة مستعمرات من نوع الكيبوتس .

المؤتمر العاشر : عقد عام ١٩١١ ، قرر تنظيم الهجرة اليهودية وانتخاب رجالها وانشاء شركة تحسين الاراضي الفلسطينية وهي جمعية تضم عددا من السماسرة برئاسة حاييم كاليفاريسكي وشوما خانكين لشراء الاراضي في البلاد المقدسة .

المؤتمر الحادي عشر : عقد عام ١٩١٣ في فينا برئاسة ولفسون وقرر مضاعفة النشاط وانشاء الجامعة العبرية بالقدس .

المؤتمر الثاني عشر : عقد في كارلسباد عام ١٩٢١ برئاسة ناحوم سوكولوف وقرر شكر بريطانيا على تصريح بلفور وشكر الحلفاء على قرارات سان ريمو ، كما قرر السعي للاتفاق مع العرب والمبادرة لاستعمار مرج ابن عامر ، وان تتولى الصهيونية الدفاع عن حقوق اليهود في انحاء العالم .

المؤتمر الثالث عشر : عقد في كارلسباد عام ١٩٢٣ برئاسة سوكولوف وقرر تاليف الوكالة اليهودية من ٦ اعضاء صهيونيين ومثلهم من غير الصهيونيين ، وايجاد (الخالوتسيم) اي شباب اليهود وارسالهم الى فلسطين بعد تدريبهم .

المؤتمر الرابع عشر : عقد في فينا سنة ١٩٢٥ وقرر تجريد حملة لزيادة التبرعات وشراء الاراضي بفلسطين .

المؤتمر الخامس عشر : عقد في بال سنة ١٩٢٧ وقد قاطعه جابوتسنكي وحزبه الاصلاحي ، وكانت حكومة فلسطين قيدت شراء الاراضي فقرر المؤتمر الاحتجاج على ذلك .

المؤتمر السادس عشر : عقد في زوريخ عام ١٩٢٩ وقرر انشاء المؤسسات اليهودية المحلية في فلسطين وهي :
المجلس الملي ومجلس المختارين والحاخامين والتشكيلات الشرعية والمدنية اليهودية ووضع برنامج خاص للتعليم اليهودي .

المؤتمر السابع عشر : عقد في بال عام ١٩٣١ برئاسة ليوموتسكين ، وقد حدد اهداف الصهيونية من جديد واحتج على كتاب رئيس وزارة بريطانيا الى وايزمن بشأن منع بيع الاراضي في فلسطين .

المؤتمر الثامن عشر : عقد في براغ سنة ١٩٣٣ وقرر الشروع بتهجير يهود المانيا الى فلسطين وتنظيم هجرة الشباب اليهود واقر العلم الصهيوني والنشيد الصهيوني (هاتكفا) .

المؤتمر التاسع عشر : عقد في لوزان سنة ١٩٣٥ برئاسة حاييم وايزمن ، وقرر رفض عرض قدمته بريطانيا بانشاء مجلس تشريعي نيابي في فلسطين ، كما تقرر غزو البحار والاشتغال بالملاحة لتهريب اليهود والاسلحة الى فلسطين .

المؤتمر العشرون : عقد في زوريخ عام ١٩٣٧ برئاسة مناحيم اوسيشكين ، ولم ينته الى مقررات هامة بسبب الاضطرابات الدامية بفلسطين .

المؤتمر الحادي والعشرون : عقد في جنيف عام ١٩٣٩ واضطر للارفضاض لان نذر الحرب العالميـــة الثانية قد دقت .

المؤتمر الثاني والعشرون : عقد في بال سنة ١٩٤٦ برئاسة حاييم وايزمن وقد تقرر انشاء [illegible] الدولة اليهودية ، وخطب رئيسه قائلا : ((ان الوطن القومي لابد ان يصبح دولة يهودية)) وقال بن غوريون : ((اننا نطلب هجرة حرة ودولة يهودية ، وسنتقابل جميعا بالمؤتمر القادم في صهيون المحررة)) كما تقرر وضع موازنة حربية مقدارها ١٥٫٥ مليون جنيه استرليني .

وانه لمما يدمي القلب ان تصح قولة بن غوريون ، ففي الساعة ٢٤ والدقيقة الواحدة من يوم ١٤ ـ ١٥ ايار ١٩٤٨ اعلن اليهود عن انشاء دولتهم وهو يصادف في التاريخ العبري يوم ٥ ايار سنة ٥٧٠٨ ، وبعد دقيقتين من ميلادها اعلن ترومان رئيس الولايات المتحدة اعتراف حكومته بها ، فجاء اعترافه بهذه السرعة سابقة لانظير لها في تاريخ الدلوماسية .

باللعـــــار والشنار ...

ويا خسئا للعرب حتى ياخـــــذوا بالثأر ...

لقد تغلب هؤلاء الذين كنا نسميهم شذاذ الآفاق على سبع دول عربية وقهروا ٤٠ مليون عربي كل ذلك بفضل منظماتهم التي كانت تنفذ الخطط التي ترسمها مؤتمراتهم بدقة واحكام ، فجدير بنا ان نلم الالمامة خاطفة بهذه المنظمات على مختلف انواعها ، ولا ضير علينا في ان ننسج على غرارها لانتزاع وطن سليب واستعادة حق مضيم .

× × × ×

الهيآت والمنظمات والشركات الصهيونية

المنظمات العسكرية : كان اول مظهر عسكري ظهر به اليهود يوم قاد الكولونيل جابوتنسكي الجنود المسرحين اليهود وهاجم بهم العرب خلال ثورة القدس في نيسان ١٩٢٠ . وجابوتنسكي هذا هو الذي الف فيما بعد حزب الصهيونيين الاصلاحيين الذي يمثل الصهيونية المتطرفة او بتعبير ادق الصهيونية السافرة الصريحة ، والذي تنتمي اليه منظمة ارغون تسفائي لئومي (المنظمة العسكرية القومية) ، وكان جابوتنسكي صريحا في الجهر باهداف الصهيونية الواسعة وضرورة الاعتماد في تحقيقها على القوة .

كان اليهود اول الامر يديرون وينظمون عسكريا تحت ستار المنظمات الرياضية ، حتى كانت الثورة العربية ((١٩٣٦ — ١٩٣٩)) فانتقلوا في ذلك الى العلانية ، وجعلت الحكومة المنتدبة تتولى تدريبهم على ايدي ضباط من الجيش البريطاني ، وكان ذلك بدء مرحلة جديدة في تكوين ((الهاغانا)) ويرجع ((تأليف الهاغانا)) الى عهد اضطهاد اليهود في روسيا واوروبا الشرقية . وكانت اذ ذاك نظاما يهوديا خاصا للحراسة انشأه اليهود تجاه الاضطهاد ، وقد جاؤوا به معهم الى فلسطين منذ اول هجرتهم اليها . وكان في اول امره مجرد حراسة ذاتية خاصة للمحافظة على السكان اليهود وممتلكاتهم ، وكانت هذه المنظمة تدعى آنئذ باسم (هاشومير) ، ثم تطورت الى قوة عسكرية منظمة و ((الهاغانا)) اليوم هي الجيش اليهودي الرسمي .

ولما اعلنت الحرب العامة اقبل اليهود على التطوع في الجيش البريطاني وجعلت مؤسساتهم تدفعهم الى ذلك ، لغايات سياسية وعسكرية واقتصادية ، كان في مقدمتها ان يتلقى شبانهم تدريبا عسكريا على نطاق واسع . وقد اغتنموا كل ظرف في الحرب للتسلح الواسع ، فهربوا بواخر محملة بالسلاح من طبرق ، واستولوا بشتى الوسائل على كميات كبيرة اخرى منه من المعسكرات البريطانية في فلسطين . واشتروا كميات غيرها من تجار الاسلحة الذين كانوا يهربونها من الصحراء الغربية ومن المعسكرات البريطانية في مصر ، كما انشأوا مصانع للاسلحة الخفيفة .

وفي اوائل الحرب ظهرت منظمتان عسكريتان ارهابيتان هما ((شتيرن)) و ((ارغون تسفائي لئومي)) وشرعتا تقومان باعمال الارهاب ضد الانكليز وحكومة الانتداب . ولما قامت الدولة اليهودية سمحت لهاتين المنظمتين بان تصبحا حزبا سياسيا ، وهكذا انبثق منهما حزب ((حيروت)) .

اما اعضاء المنظمتين فقد طلب منهم الانضمام الى الجيش اليهودى فلم يفصل ذلك منهم الا القليل اما الباقون فيقال انهم مازالوا يؤلفون منظمة سرية اسمها ((حازيت هامولديت)) (اى جبهة الوطن)

وكانت الوكالة اليهودية قد ابتكرت بالاتفاق مع السلطات البريطانية نوعا من الرجال المسلحين اسمهم ((رجال البوليس الاضافي)) (اوبوليس المستعمرات) وكان عددهم يبلغ ٣٢ الفا في اواخر عهد الانتداب •

واشتد ساعد الهاغانا مع مرور الزمن حتى بلغ عدد رجالها سنة ١٩٤٧ حوالى ٧٠ الفا بينهم ١٧ الفا تدفع لهم رواتب من الوكالة اليهودية ، و ١٧ الفا يعيشون في المستعمرات الاشتراكية على حسابهم الخاص بصفتهم اعضاء دائمين فيها ، وهم الذين تألفت منهم بعد ذلك وحدات ــ ((الباماخ)) الاشتراكية و ١٧ الفا كانت البلديات والمجالس المحلية اليهودية هي التي تدفع لهم معاشاتهم ، و ١٧ الفا آخرين يعيشون على حساب ((الهستدروت)) ،

وجد اليهود ان وحدات ((الهاغانا)) التي الفوها سرا كانت ماهرة في اعمال الدفاع فقط اذ كانت الظروف لا تسمح لها باكثر من ذلك على الرغم من ان بعض رجالها قد تدربوا على اعمال اخرى • ولذلك قرروا تأليف وحدات هجومية هي وحدات ((البالماخ)) • وكلمة ((بالماخ)) مختصرة من كلمتي ((بلوكوت ماخاتس)) وبلوكوت جمع ((بلوكا)) اى كتيبة وكلمة ((ماخاتس)) معناها التحطيم السريع • وكانت وحدات ((البالماخ)) مؤلفة من ١٧ الف رجل معظمهم من افراد المستعمرات الاشتراكية • وقد خاضت هذه الوحدات المعارك في الشمال والجنوب ، ولكنها ماكانت تستطيع القيام بالعمل وحدها • فلماجاءت وحدات المتطوعين من امريكا وبريطانيا واستراليا وجنوب افريقيا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها تألفت منهم وحدات ((الماحال)) اى ((محوباسي حوتس لارتس)) ومعناها : ((مجند و الخارج)) •

١ ــ المنظمات السياسيـــاسية والاستعماريـــة :

ان اعلى هيئة صهيونيـــة هي المؤتمر الصهيوني العالمي وهو يعقد مرة كل سنتين وقد عقد حتى الان ٢٤ دورة •وقبل تاسيس الدولة اليهودية كان هذا المؤتمر هو مصدر التشريع الصهيوني • اما الآن فان حكومة تل ابيب ترفض الاعتراف بسلطته • بل انها تحاول ان تجعله خاضعا لها كما رفضت منح المؤتمر الصهيوني ومؤسساته اية سلطة ايا كان نوعها في اراضيها • وان كان مكلفا بالانفاق على الهجرة وابتياع الاراضي والاستيطان والثقافة وغيرها •وتحاول حكومة تل ابيب منافسة المؤتمر ــ الصهيوني في ميدان جمع الاموال والتبرعات من يهود الخارج • وبينما يشرف المؤتمر الصهيوني علـــى الجباية فان حكومة تل ابيب تشرف على جبايات اخرى وتحث اليهود على نقل اموالهم وتوظيفها فـــي فلسطين المحتلة •

اما الهيئات التابعة للمؤتمر الصهيوني فهي :

الجمعية الصهيونية : ولها فروع في مختلف اقطار العالم • وزعماء هذه الجمعيات هم الذين يتالف منهم المؤتمر الصهيوني •

اللجنة التنفيذية الصهيونية: هي اللجنة التى يعهد اليها امر تنفيذ قرارات المؤتمر • وهي مؤلفة من ٣٧ عضوا ،

الوكالة اليهودية :

هي المجلس الاداري للجنة التنفيذ الصهيونية وهي مؤلفة من ١٦ عضوا لادارة الدوائر الصهيونية المختلفة ومركزها الرئيسي في القدس . ولها فروع في لندن ونيويورك وتل ابيب وباريس وغيرها . والوكالة اليهودية مؤلفة من دوائر مختلفة . انشئت الوكالة سنة ١٩٢٢ بموجب صك الانتداب الذي ينص على ان الوكالة تتعاون مع حكومة الانتداب على تحقيق انشاء الوطن القومي . وكان من دوائرها : الدائرة السياسية ، ودائرة الهجرة ودائرة الامن والدفاع ، ودائرة الاستيطان ودائرة الاسكان ودائرة شراء الاراضي ودائرة الثقافة ، ودائرة الدعاية ، ودائرة تنظيم الشباب ودائرة الشؤون الاجتماعية ، ودائرة الصحة الخ .. وكان اشبه ما تكون بحكومة ضمن حكومة فلسطين . وعندما تألفت حكومة تل ابيب قلت مهام الوكالة واصبحت دوائرها كما يلي :
دائرة الهجرة ، دائرة استيعاب المهاجرين ، دائرة الشباب ، دائرة الاستعمار ، دائرة الشؤون الاقتصادية ، دائرة تحسين مدينة القدس ، دائرة الدعاية ، دائرة الثقافة .

الكيرن كايمت : هي الصندوق الدائم القومي للصهيونية . تأسست سنة ١٩٠١ وفقا لقرار اتخذه المؤتمر الصهيوني الخامس . وينحصر ستورها على الحصول على مساحات من الاراضي في فلسطين لتجعلها وقفا على الشعب اليهودي كله لا ملكا للافراد ، وتجعل هذه الاراضي صالحة للاستيطان ، ولا يجوز ان يعمل فيها سوى عمال يهود — وتاتي اموال الكيرن كايمت من الصدقات والتبرعات ولها خمسة ملايين صندوق صغير موزعة في منازل اليهود ومكاتبهم ومدارسهم ومعابدهم في جميع انحاء العالم لتوضع فيها الصدقات . وتقبل هذه الصدقات ولو كانت ضئيلة جدا . واستطاعت بهذه الطريقة جمع ٦٢ مليون جنيه فلسطيني خلال ٥٠ عاما واستطاعت ابتياع ٠٠٠ر٠٢٣ر١ دونم من الاراضي ، انشأت عليها ٢٣٥ مستعمرة . وزرعت ٧٢ غابة وتطلق على غاباتها اسماء الاشخاص الذين ساعدوا الحركة الصهيونية كغابة بلفور وغابة ترومان .

الكيرن هايسود : اى راس المال التاسيسي ، اسسها المؤتمر الصهيوني الثاني عشر سنة ١٩٢٠ وجعلها تابعة للوكالة اليهودية . واهم ما تقوم به انشاء المستعمرات واعمال الاستيطان والاسكان والري . فبينما تقوم الكيرن كايمت بابتياع الاراضي فان الكيرن هايسود تستلم هذه الاراضي وتشق اليها الطرق وتجعلها صالحة للسكنى .

البيكا

جمعية الاستعمار اليهودي الفلسطيني . اسسها البارون روتشيلد سنة ١٨٨٥ وتبلغ مساحة اراضيها نصف مليون دونم اقيمت عليها ٤٢ مستعمرة . وتهتم البيكا بالزراعة والصناعة . وتملك كمية وافرة من اسهم شركة الكهرباء الفلسطينية وشركة الاسمدة وغيرها .

الجباية المتحدة :

كانت الجمعيات الصهيونية واليهودية تقوم بجمع الصدقات كلا على حدة ، حتى بلغ عدد هذه الجمعيات خمسة الاف جمعية . فقررت الجمعيات الكبرى ان تؤلف صندوقا موحدا للجباية ثم تقسم ما تجمعه بينها . وتنال الجمعيات الصهيونية من هذه الجباية نصفها تقريبا .

وعند ما قامت حكومة تل ابيب بحملة دعاية واسعة للجباية الموحدة لم تجمع سنة ١٩٤٩ اكثر من ١٢٠ مليون دولار ، وكادت الوكالة اليهودية ان تفلس حتى توقفت عن الانفاق على المهاجرين الجدد في المعسكرات . وعندئذ قررت حكومة تل ابيب ان تستقل بالعمل فاصدرت سندات قروض باسم " قروض الاستقلال " بقيمة ٥٠٠ مليون دولار ، وما زالت تسعى حتى الان لتصريف هذه السندات في امريكا .

جمعية هداسا : جمعية النساء اليهوديات في امريكا . وهي تضم عناصر يهودية وصهيونية معا . وتاسست لاغراض نشر الصحة بين يهود فلسطين واستطاعت انشاء مشافي كبيرة .

جمعية الجوينت : جمعية خيرية يهودية غير صهيونية اسسها يهود امريكا لمساعدة يهود اوربا . وتهتم بتحسين عيش اليهود اينما كانوا .

جمعية البوند : جمعية اشتراكية لمساعدة يهود بولونيا . كانت في بادئ الامر تقاوم الصهيونية مقاومة عنيفة بالتعاون مع الجوينت . اما الان فتتعاونان معا على اعتبار ان هناك في فلسطين عددا كبيرا من اليهود يستحقون المساعدة . وجمعية " البوند " تدعو الى جعل اللغة الايديش (وهي رطانة يهودية مزيج من الالمانية والعبرية والارامية والسلافية) لغة قومية رسمية لليهود بدل اللغة العبرية . ولها في امريكا صحافة كبيرة تصدر بالايديش ومؤلفات ادبية وعلمية يصدرها اليهود بهذه اللغة .

اما في فلسطين فهناك منظمات سياسية وهي عبارة عن الاحزاب التى لكل منها سياسة خاصة . ومنظمات اشتراكية تضم احزاب العمال . ومنظمات اشتراكية استعمارية ومنظمات اقتصادية . ومنظمات عسكرية ومنظمات رياضية . ويجمع اليهود في احزابهم جميع المبادئ والمذاهب في صعيد واحد . فهناك شيوعية صهيونية وفاشية صهيونية ، واشتراكية صهيونية ، كلما ان هناك شيوعية غير صهيونية وفاشية غير صهيونية واشتراكية غير صهيونية ، وهناك راسمالية صهيونية واخرى غير صهيونية ، وهناك محافظة صهيونية ومحافظة غير صهيونية الخ . .

الهستدروت : تالفت سنة ١٩٢٠ وانضم اليها ٤٤٢٣ عضوا . اما الان فتضم ٢٧٠ الف عضو على الاقل . وتضم الهستدروت عدة احزاب عمالية . وينص دستورها على انها تضم جميع العمال الماجورين الذين ياتيهم الرزق من العمل كالمستخدمين والموظفين والمعلمين والاطباء الخ . ولها في كل مدينة او قرية مكتب للعمال يشرف على شؤون العمال وتقوم بنشاط اقتصادي واسع كانشاء المستعمرات التعاونية والمصانع وشركات الانتاج والبناء .

جماعة بريت هاكانائيم : كانت تعمل في عهد الانتداب باسم عصابة " برن " وكافح رجالها اثناء حصار القدس كفاحا عظيما . وليست هناك صلات قوية تربط بين اغودات اسرائيل وبريت كانائيم وناتوري كارتا بيد ان هذه الجماعات الثلاث ترمي الى انشاء نظام بيروقراطي في البلاد يعتمد على اسس التوراة وتعاليم التلمود .

جماعة ناتوري كارتا : عبارة آرامية معناها حرس الجدار والمقصود به " جدار المبكى " اي البراق وهو مذهب يهودي متطرف في تدينه . ورجال هذه الجماعة لا يتجاوزون الالف . وهم يرفضون الاعتراف بدولة اسرائيل او سلطتها لاعتبارهم اياها دولة ملحدة مارقة من الدين .

وتخلق هذه الفئة بين الفينة والاخرى اضطرابا لا يستهان به اذ يضطجعون في الشوارع ايام السبت لايقاف حركة السيارات كما يقذفون الحجارة على راكبي السيارات او المدخنين .

وهناك اتحاد اليهود السفارديم (اى الشرقيين) واتحاد يهود اليمن واتحاد اصحاب المصانع واتحاد اصحاب الاملاك ، واتحاد الموظفين . كما ان هناك عدة منظمات رياضية اهمها : المكابي وهابوعيل ، وبيتار موزيولون .

تلك هي المنظمات والهيئات والشركات الصهيونية في العهد السلبي بالنسبة لليهود فاما الآن فقد انقلبت الى احزاب عقائدية يعمل كل منها في بناء اسرائيل وفق اهدافه وبرامجه ومن اهمها :

الماباى :
اى حزب عمال فلسطين ، وهو اشتراكي معتدل ، اول زعمائه اورلوزوف الذى قتله الاصلاحيون سنة ١٩٣٢ وتراسه اخيرا بن غوريون . يميل الى المعسكر الغربي ويهدف الى زيادة السكان بكل وسيلة وبحيث يصبح اليهود بفلسطين في عام ١٩٦٠ عشرة ملايين نسمة ، اى انه يقصد الى لم شعثهم جميعا من انحاء المعمورة اذ تبين من احصائية بريطانية صدرت سنة ١٩٥٣ ان عدد اليهود في العالم ٥ر١٠ مليون نسمة فقط ومن زعمائه موشه شاريت واسحق بن زفي وشموئيل ديان وللحزب في الكنيست ٤٥ مقعدا .

المابام :
اى حزب العمال الموحد ، وهو اشتراكي يساري ، يميل الى الاستفادة من روسيا ولكن على اساس قيام حركة جماهيرية لرفع مستوى الشرق الاوسط ، ومن مبادئه الثابته (ان التعاون مع العرب ضروري لدعم كيان الدولة اليهودية فاما البارزون من رجاله فهم موشيه سنيه ومردخاى بن طوف وللحزب ١٥ مقعدا في الكنيست (البرلمان اليهودى)

الصهيونيون العموميون :
وهو في الاصل حزب هرتزل ووايزمان ، وكان همزة الوصل بين الاحزاب الصهيونية في العالم ، يتمتع بعشرين مقعدا نيابيا ونشاطه مع اميركا لا يقف عند حد ، اما البارزون من رجاله الحاليين فهم فرتس برنشتين واسرائيل روكاخ .

حزب حيروت :
كان في الاصل منظمة عسكرية لها آراء سياسية معنية ، ففي عام ١٩٢٥ اسس جابوتنسكي حزبا باسم (الصهيوني الاصلاحي) انضمت اليه العناصر المتطرفة فحاربتهم الوكالة اليهودية فتفشى الارهاب بينهم وفي سنة ١٩٤٠ تم التخلص من العنصر الارهابي اليساري الذى عرف باسم عصابة شتيرن وترأس مناحيم بيجن المنظمة العسكرية التي عرفت باسم الارغون وهي التي اغتالت الكونت برنادوت . حتى اذا قامت اسرائيل بحل المنظمات العسكرية تالف منها حزب حيروت هذا . وله في الكنيست الثاني ثمانية مقاعد نيابية واشهر زعمائه مناحيم بيجن والياهو لانكين الذى قاد باخرة الاسلحة (التالينا) سنة ١٩٤٨ الى فلسطين خلال الهدنة الاولى .

وثمة احزاب اخرى اقل اهمية من الاولى ، منها الصهيوني المزراحي والعامل المزراحي والاغودات والتقدميين الصهيونيين والشيوعيين والمناضلين وحزب الماسون الذى تتمتع محافله بنفوذ عظيم في اسرائيل والروتارى المنبثق عن الماسونيـــة .

كلمـــة الختـــــام

مرت على فلسطين في الفترة الواقعة بين تاريخ اول موتمر صهيوني واعلان دولة اسرائيل ، احداث هامة وتطورات مختلفة ، يجب أن يسدل عليها الستار الا ما يصلح منها للعظة والعبرة ، ولقد كان اليهود خلالها يعملون بجهد متواصل لتحقيق مطامعهم وقد انفقوا من الاموال في سبيل ذلك ما يتعذر حصره . ولا يمكن القول ان الجهد اليهودي وحده هو الذى انشاء لهم الدولة . اذ ان تاريخ هذه الحقبة يشير بوضوح الى الدور الخطير الذى لعبته الدول الاخرى في تحقيق المطامع الصهيونية .

والحقيقة ان بريطانيا تنكرت للعرب وابت الا ان تمعن في الاساءة اليهم ، ولكن امريكا لم تكن اقصر منها باعا في هذا المجال وفي تحمل مسوءلية تشريد ٩٠٠ الف عربي ولست اعني بذلك موقف الرئيس ترومان وحكومته فحسب بل اعني الرئيس ويلسون نفسه، فقد ثبت ان وعد بلفور — الذى لا قيمة له في الحقوق الدولية — لم يصدر الا بموافقة وتشجيع صاحب المباد [illegible] العشرة التي يباهي الاكثر الاميركان بها الامم ، ويتخذون منها ذريعة للاعتداء على الامم ..

ولئن كان من حق اليهود ان يعملوا على توطيد كيانهم ، ومن حق الدول جميعا ان تستلهم تصرفاتها مما يتفق ومصلحتها في عالم انعكست فيه المفاهيم وانقلبت القيم وسادت المكيافيلية الى حد والى [illegible] بلا حد — فان من الحق ايضا القول بان العرب هم الذين فرطوا وهم المسوءولون قبل غيرهم عن — الكارثة التي دهمتهم واحتجاجهم بالظروف والملابسات التي احاطت بقضية فلسطين لا يخرج عن كونه ضربا من ضروب ارضاء النفس ولونا من الوان العذر . الذى يصطنعه المقصر ليبرر تقصيره ، وان للمجرم عذرا ..

وكان الامير فيصل رحمه الله اول المفرطين فقد حدثنا صاحب كتاب الثورة العربية الكبرى انه في شهر ابريل ١٩١٨ وصل الى الاسكندرية وفد اللجنة الصهيونية برئاسة الدكتور وايزمان ويتالف من جوزيف كويني وليون سيمون واسرائيل سيف وسلفان ليفي لزيارة فلسطين والاشراف على العائلة فيها وصحبهم في رحلتهم هذه الماجور اورمسبي غور من وزارة الحربية البريطانية — ووزير المستعمرات بعدئذ — بصفة ضابط الارتباط السياسي البريطاني لدى اللجنة الصهيونية يساعده الكابتن جيمس روتشيلد فزاروا القدس واستقبلتهم السلطات البريطانية رسميا واد ب لهم المستر ستورس حاكم القدس يومئذ مادبة رسمية .

واغتنم الدكتور وايزمان الفرصة فقصد يوم اول يونيو ١٩١٨ [illegible] فزار الامير فيصلا وبسط له اغراض الصهيونية ورغبتها في التعاون مع العرب فكان الامير كثير الحذر — كما تقول المصادر الصهيونية — ولم يبد رايا حاسما . وسافر بعد ذلك الى لندن فزاره عظماء اليهود الانكليز ومن مقدمتهم السير الفريد موند والسر هربرت صموئيل واللورد بركنهد (وزير الحقانية البريطانية) وتظاهروا بالعطف على العرب وقضيتهم واظهروا استعدادهم لتاييدها بنفوذهم وطلبوا اليه ان يوقع على بيان كتبوه باللغة الانكليزية وقالوا انه ينطوى على اظهار العطف على فكرة الوطن القومي فترجمه الامير باللغة العربية بعد ان كتب عليه ما نصه (مشترطا ان ينال العرب استقلالهم من رفح حتى ذلوروس وخليل العجم) ولما ساله بعضهم لماذا عجل في التوقيع اجاب : لقد اشترطنا لتاييدهم انشاء

مملكتعربيةفاذا انشتغلا يهمنا شي ء ٠

ويقول اليهود ان البيان الذى وقع عليه الامير يومئذ ينطوى على الاتفاقية الاتية:

صاحب السمو الملكي الامير فيصل يمثل ويعمل لمصالح مملكةالحجاز العربية والدكتور حاييم وايزمن يمثل ويعمل لصالح الجمعيةالصهيونية مع ذكرهما القرابةالعنصريةوالروابط القديمة الكائنة بين العرب واليهود واد راكهما ان اضمن وسيلة لتحقيق امانيهم القومية هي التعاون لترقيةالد ولةالعربية وفلسطين ٠ وبما انهما يرغبان زيادة على ذلك، في تاييد التفاهم الطيب القائم بينهما اتفقا على— المواد التالية:

المادة ١ : الد ولةالعربيةوفلسطين في جميع علاقاتهما واعمالهما يجب ان يسود هما تفاهم باشد اخلاص وحسن ارادة ولهذه الغايةسيعين في حينه وكلاء عرب ويهود موثوق بهم ومؤيد ون في البلد ين المشار اليهما ٠

المادة ٢ : تحد د الحد ود النهائية بين الد ولةالعربيةوفلسطين بواسطة لجنةيتفق عليها حالما تتم مفاوضات مؤتمر الصلح ٠

المادة ٣ : توخذ جميع التد ابير وتعطي افضل الضمانات لتطبيق [illegible] تصريح الحكومة — البريطانية الصادر يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ حين وضع د ستور حكومةفلسطين ٠

المادة ٤ : تتخذ كل التد ابيرلتشجيع وتنشيط الهجرة اليهودية الى فلسطين بمقياس كبير وبالسرعة الممكنة لاسكان المهاجرين في الاراضى وتصان حقوق الفلاحين العرب ويساعد ون في تقد مهم الاقتصادى ٠

المادة ٥ : لا يوضع نظام او قانون يمنع او يحول باى طريقة د ون ممارسة الاديان بحرية كاملة ٠ ويسمح ايضا بد ون قيد ولا شرط بحرية العقائد والعبادات بد ون تمييز او تفضيل وتمارس الحقوق المد نية والسياسية ٠

المادة ٦ : تكون المقد سات الاسلامية تحت اشراف اسلامي ٠

المادة ٧ : ترسل الجمعيةالصهيونية الى فلسطين لجنة من الخبراء في د رس قابلية البلاد الاقتصا د وتقدم تقريرا عن افضل الوسائل لتحسينها وتضع الجمعيةالصهيونية هذه اللجنة تحت تصرف الحكومة العربيةبد رس قابلية المملكةالعربية الاقتصاد ية وتقد يم تقرير عن افضل الوسائل لتحسينها وتستخدم الجمعيةالصهيونية خير جهود ها لمساعدة الحكومة العربية في اعداد الوسائل لتحسين الموارد — الطبيعية والقابليةالاقتصادية في بلاد ها ٠

المادة ٨ : يوافق الفريقان المتعاقدان على العمل باتفاق وتآلف لضمان تحقيق هذه الاتفاقية امام مؤتمر الصلح ٠

المادة ٩ : والاخيرة
تحكم الحكومة البريطانية في كل خلاف يبدو خلال تطبيق احكام هذا الاتفاق •
وتقول المصادر اليهودية ان الامير وضع التحفظ الآتي على هذا الاتفاق •
(اذا توطدت دعائم الحكومة العربية كما طلبت في كتابي بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩١٨ الى وزارة الخارجية البريطانية فاقوم بما كتبت في هذه الاتفاقية واذا اجريت تبدلات فلا اكون مسؤولا عن عدم قيامي بما جاء فيها)

اما القول (بان فيصلا وقع الاتفاقية دون ان يعلم محتوياتها بالضبط)فقول مردود — وان صح ذلك فيكون فيصل اكثر تفريطا — بيد ان السذاجة لم تبلغ به حد توقيع وثيقة يجهل مضمونها وقد كان الرجل على النقيض من ذلك معروفا بواقعيته وسعة افقه وكان يحق الدماغ الناضج بين العاملين للقضية العربية • كما ان بعض السياسيين ذهبوا الى (انه اتفق على ما لا يملك فتصرفه اذن لاغ وبالتالي غير ملزم) وهذا ايضا مردود لان العرب في كل قضاياهم يتمسكون بمباحثات (حسين — مكماهون وليس لهم ان ينكروا تصرف فيصل من جهة ويتمسكوا بها من جهة اخرى • والراي عندي ان الامير لم يقدر الخطر الصهيوني حق قدره • وكان بحكم نزعته الواقعية يعمل جاهدا لتحقيق اكبر قسط من اماني العرب تاركا للمستقبل معالجة المشاكل التي قد تعترضه •
ومسؤولية رجالات فلسطين كانت اجل شانا واعظم خطرا فقد فتنتهم الزعامات الغرقاء وقد نسوا ان الزعامة الحقة تقضي على الزعيم ان يتخلى عن انانيته وعن مركزه وحتى عن حياته في سبيل القضية التي يحمل لواءها وفيما يلي فقرة من تقرير سري رقمه ١٣١ رفعه بن غوريون الى حزب العمال الفلسطينيين في ٢٤ حزيران ١٩٣٨ افقيها الكفاء :
(يمكنكم ان تستغربوا هذه الكلمات : كيف ولماذا ياتي العرب لمساعدتنا؟ على كل حال هناك اشياء غريبة في التاريخ وفي بعض الاوقات يساعد الخصم خصمه بدون قصد • وهكذا ساعد الاصلاحيون عصابات المفتي مرارا قليلة — ليس لانهم قصدوا مساعدتهم بل بالعكس لانهم فكروا في مقاتلتهم فضاعف اولائك (العرب)ارهابهم وقووا جبهتهم • وهكذا المفتي وجماعاته سيساعدوننا باعمال يقصدون بها معاكستنا ولكنها حقيقتها تساعدنا (بمساعدة) المفتي)بواسطة الاضراب في يافا) انشأنا مرفانا في تل ابيب (بمساعدة المفتي وسعنا العمل اليهودي في المستعمرات (في الوقت الحاضر) بمساعدة العصابات اجبرت الحكومة على تسليح شبابنا وهكذا فانني اظن اننا سنقضي (بمساعدة) المفتي على فكرة تحديد الهجرة))
بل ان الساسة العرب كانوا يعالجون القضية الفلسطينية في اشد مراحلها دقة على غير هدى • واستشهد على ذلك بتصريح افضى به المرحوم علي ماهر باشا امام الامير شكيب ارسلان واحمد حلمي باشا والسيد دين رشيد الحاج ابراهيم ومحمد علي الطاهر بمناسبة فشل مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن ١٩٣٧ حيث قال (اني لما رايت سوء نية الانكليز وانهم لا يريدون حل قضية فلسطين • وانهم يقترحون امورا لا يمكن الموافقة عليها • اردت ان اكشفهم علنا وبشكل رسمي وكان تعقد الهجرة اليهود يقاهم شيء في نظرنا • فقد اقترح الجانب البريطاني ان نسمح بدخول ٧٥ الف يهودي في خلال ٥٠ سنين من اليهود ولا لا ثم وبعد ذلك تمنع الهجرة نهائيا (الجميع) دخول ذلك العدد الكبير من اليهود

الا انا ملانى كنت اريد اخذ امضاء بريطاني على صك رسمي يحدد الهجرة ويغلق ابواب فلسطين ، ولا خوف بعد ذلك على البلاد . وهنا حصل تشاد بيننا ، فانحازت جميع الوفود الى وفد فلسطين ، وبقي وحدي ، دافع عن وجهة نظري ، واخيرا ... وافقوني فلما قلنا للانكليز اننا نوافق على اقتراحكم ونقبل هجرة العدد الذي تطلبونه اذا بهم ينكلون ويعلنون فض المؤتمر)) وفي هذا اوضح دليل على ان الوفود العربية لم تنتهج خطة مرسومة موحدة في مختلف مراحل القضية . لذلك لم يكن الانكسار المرير الذي منينا به في سنة ١٩٤٨ مستغربا .

(واذا كان مخطط الرسالة يضيق عن الاسباب في هذا الموضوع واستخلاص العبر من التجارب الماضية ورسم خطة للمستقبل ، فارجو ان استكمل هذا النقص في كتاب اعددته للاصدار في العاجل القريب) .

على انه جدير بنا ان نقف قليلا بناحيتين تكشف الاولى منهما الخطوط العريضة لاغراض الصهيونية وتوضح الثانية واقع العالم العربي واثر النكبة فيه . فعندما انشئت ولة تل ابيب وجه بن غوريون نداء الى الشعب اليهودي قال فيه : ان ما فعلناه هو احدى المقدمات لاهداف اسرائيل البعيدة . فعلى الشعب ان يكتل قواه للوصول الى تلك الاهداف . ان ما احرزناه من كسب حتى الآن ان هو الا نزر يسير مما ينتظره الشعب اليهودي منذ الاف السنين . استعدوا للوصول الى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية وجلب يهود العالم اجمع . وتحقيق البنود الواردة في التوراة واصبروا لانكم ستواجهون صعوبات جمة في الوصول الى تلك الاهداف .

وقد ثبت ان اليهود يعنون ما يقولون وانهم جادون في تحقيق غاياتهم يشجعهم على ذلك نفوذهم في العالم وتخاذل العرب امامهم على اننا لسنا من المتشائمين الا بالقدر الذي يشحذ الهمم ويشد العزائم ولعلنا نستطيع اذا نحن استعرضنا تاريخنا القديم والحديث ، ان نميز واقعنا ونرسم مستقبلنا بايدينا ، فلقد افل نجم العرب منذ انحلال العباسيين واستسلموا لسبات عميق قرونا طويلة ثم رزحوا ردحا من الزمن تحت كابوس العثمانيين ونير الاجنبي ، حتى اذا استفاقت زمرة من غفوتها عمدت الى تنبيه الراي العام العربي واذكاء القومية في نفوس ابنائه وكان ما كان من قيام دول عربية ابى المستعمر الظافر الا ان يجعلها من مغانم الحرب .

ثم قام الحكم الذاتي ، المقيد منه والمستقل ، وتعاقب عليه اناس بنوا زعاماتهم على مجاراة الشعب في عواطفه فضلوا الطريق وجبنوا عن مواصلة السير في الساعات الحاسمة وتناسوا ان الحكم فن وعلم واخلاص ، وانه يتطلب خبرة ومرانا وحنكة ، ولم يعد — كما كان — نوعا من الوجاهة ولا اسلوبا من الارضاء بل غدا ضربا من ضروب التضحية وسبيلا من سبل الجهاد ، وانحرفوا عن مفهوم السيادة الشعبية التى اصبحت مسخرة لصالح الاقطاعيات والارستوقراطيات وتجاهلوا ان شجرة الديموقراطية لا تنمو بارتوائها من الانانية وحب الذات بل من البذل والتفاني ولا تتغذى بالاثرة بل بالايثار ولا يحميها الجمود بل يحميها التطور الهادىء الرصين الذى يتلاءم مع سنة الحياة وواقع المجتمع وجاء الدليل تلو الدليل على ان النضال السلبي شيء والعمل الايجابي شيء آخر حتى ان الذين كان لهم شرف مقارعة الاستعمار واذكاء الروح الوطنية وانماء الوعي القومي وجلهم عربي الوجه واليد واللسان مسلم الروح والجنان ، منوا على الوطن وفاخروا بالجهاد ، وما دروا ان الوطن يابي هذه المفاخرة ويستكبر على من يمن عليه ...

وافسح بعضهم المجال لفئة من المرتزقة وتجار المناسبات الذين يقضون حياتهم نهبا بين الرغبة في

مجد يبنيه لهم العمل في القضايا العامة وبين اشباع نهمهم الذى لا يشبع الا بخيانة تلك القضايا العامة ..

وجاء بعدهم اناس ترعرعوا وشبوا في المدرسة القديمة فوبديهي ان يقعوا في نفس الاخطاء التى وقع فيها الاولون ، وكانوا الى ذلك اقل دراية في اساليب الحكم وتمرسا على فنونه فتخاذلوا وجبنوا اكثر من مرة وفوتوا فرصا عديدة كان الواجب يحتم عليهم ان يستغلوها لامتلاك ناصية الامر والتحكم في الازمة واعادة الاشياء الى انصبتها ..

وما دروا ان الواجب يقضى على رجل الدولة ان ينفذ ببصره الى ابعد مدى ويقيس امكانيات بلاده وظروفها ولا يخطوا خطوة الا اذا ايقن انها خطوة راسخة مكينة تحمل الى الوطن الخير الاكيد وتستبعد عنه الشر المحتمل فاستبدلوا الشجاعة بالخوف والنبل بالخسة واستعاضوا عن العبقرية بالتآمر وعن انطلاقه الثائر باستكانة الصاغر ، واحالوا بذلك القوة ضعفا والعزم تخاذلا بيد ان شرف المشتغل بالمسائل العامة يجب ان يسمو على الشبهات والريب فاذا تعرض لمس خفيف من خطاء او اهمال او استغلال وجب عليه ان يتنحى عن ميدانها قبل ان يقول الشعب فيه كلمته ويصدر عليه حكمه .

على انه في اللحظات العصيبة التى انتابت الوطن العربى في مآتها الحرجة لمع بريق من الايمان فبدد الشكوك والاوهام وكشف الكرب والغمة وها نحن اليوم في طور الشكوى والندم فلا يجتمع اثنان الا ليتشاكيا ولا يتحدثان الا لينقدا الاوضاع القائمة وليقررا وجوب تلافيها واذن فنحن في نهاية الطريق السلبية وبداية الطريق الايجابية التى من شانها اشادة بناء هذا الوطن على دعائم وطيدة الاركان ـ وسنظل متعثرى الخطى حتى تنمو الطبقة الواعية من ابناء الامة وتنسق جهودها وتاخذ على عاتقها شق الطريق الى المركز المرموق الذى تهدف اليه . وما الانتفاضات التى عمت العالم العربى في الآونة الاخيرة الا مظهرا حيا من مظاهر الانطلاق وليست كما يظن البعض حشرجة الموت الزؤام

فالامل معقود على ابناء هذا الجيل وعلى الاجيال الصاعدة بان يقدروا ثقل العبء ويمضوا في تحقيق الاماني بخطى مكينة ثابتة ، وعندها فقط يحق للعربى ان يقول في اليهود ما ورد في القرآن الكريم (لقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة الى يوم الدين) صدق الله العظيم .

— — — —

الفهـــــرس

×××××××

المصادر العامة
××××××××××××

العربية

١ ــ الكتب المقدسة

٢ ــ التاريخ السياسي ــ عثمان سلطان

٣ ــ ولاية بيروت ــ تميمي وكاتب

٤ ــ الخطر اليهودى ــ محمد خليفة التونسي

٥ ــ الثورة العربية الكبرى ــ أمين سعيد

٦ ــ المذاهب الاجتماعية الحديثة ــ محمد عبد الله عنان

٧ ــ اسرائيل خطرا اقتصادى عسكرى وسياسى ــ المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة .

٨ ــ مذكرات حاييم وايزمن ــ وايزمن

٩ ــ قضية فلسطين ــ نجيب صدقة

١٠ هيكل سليمان ــ يوسف الحاج (وهو من الكتب النادرة جدا)

١١ ــ الصهيونية ــ الدكتور سعدى بسيسو .

١٢ ــ كارثة فلسطين العظمى ــ فخرى البارودى .

١٣ ــ الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ــ جريدة الايام .

١٤ ــ دريفوس ــ يوسف ابراهيم يزبك .

١٥ ــ القضية الفلسطينية ــ يوسف هيكل .

المعربة

١ ــ ادفع دولار تقتل عربيا ــ لورانس غرزوولد تعريب دار العلم للملايين .

٢ ــ الصهيونية والشيوعية ــ فرانك بريتون ــ تعريب نهاد عيسى .

٣ ــ ثمن اسرائيل ــ الفريد ليلينتال ــ تعريب نحولى وهوارى .

٤ ــ مذكرات جيمس مكدونالد اول سفير لامريكي في اسرائيل

٥ ــ مذكرات بن غوريون .